الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات

ميدان اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

تجديد النحو عند ابن مضاء

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص لغة عربية

إعداد الطالبتين:
نبيلة شايب العين
نجوى أمغران

إشراف الأستاذ:
د.موسى شروانة

السنة الجامعية: 2010-2011

شكر وتقدير

نشكر الله سبحانه وتعالى الذي خصنا برعايته وحفظه وأنعم علينا بالعلم والعقل والصحة.

نشكر جزيل الشكر ومع فائق الإحترام والتقدير أستاذنا المشرف: الدكتور " موسى شروانة "

الذي وقف إلى جانبنا وأمدنا بالعون والتوجيه

فجزاه الله خيرا.

إلى الأساتذة الذين أمدوا لنا يد العون: نوري خذري، الأستاد منير بن ديب، والأستاذ عمار بشيري.

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل.

المدخل : حركة التجديد في النحو قبل ابن مضاء

- تمهيد

1- مفهوم النحو

2- أهمية النحو

3- نشأة النحو

4- أصول النحو العربي

-أولا : السماع

-ثانيا : القياس

-ثالثا : العامل

-رابعا : العلة

5- حركية النحو العربي من المدرسة البصرية الى الاندلسية

-أولا : المدرسة البصرية

-ثانيا : مدرسة الكوفة

-ثالثا : مدرسة بغداد

-رابعا : المدرسة الاندلسية

الفصل الاول : ثقافة ابن مضاء وأثرها في الدعوة للتجديد في النحو .

1- تعريف ابن مضاء

- شيوخه
- ثقافته

2- العوامل المؤثرة في النحو عند ابن مضاء

- أثر الموحدين في ثقافة ابن مضاء
- المذاهب الفقهية وتأثيرها في النحو
- ابن مضاء والمذهب الظاهري
- الظاهرية وأثرها في الحركة اللغوية

الفصل الثاني : تجليات التجديد في النحو عند ابن مضاء

- تمهيد

1- تحطيم نظرية العامل

- اعتراض ابن مضاء على تقدير العوامل المحذوفة
- اعتراضه على تقدير الضمائر المستترة في المشتقات
- اعتراضه على تقدير الضمائر المستترة في الافعال
- اعتراضه على تقدير متعلقات المجرورات
- نظرية العامل في باب الاشتغال
- نظرية العامل في باب التنازع

2- نظرة ابن مضاء في القياس النحوي

3- إلغاء العلل الثواني والثوالث

4- الدعوة الى الغاء التمارين غير العلمية

5- الدعوة الى الغاء ما لا يفيد نطقا .

الفصل الثالث : أثر الدعوة للتجديد في النحو عند ابن مضاء

- تمهيد

1- أثر دعوة ابن مضاء على النحاة القدماء

- ابن رشد

2- عوامل ومظاهر التجديد في النحو عند المحدثين

- شوقي ضيف

- محمد كامل حسن

- خلاصة

مقدمة

المقدمة :

منذ فجر الحضارة العربية نهض أصحاب هذه اللغة يدرسونها ويضعون القوانين التي تحكمها، وعملوا على إنشاء النحو العربي وتطويره، وأهم ما تعرض إليه هو نظرية ابن مضاء القرطبي التجديدية وما خلفته من آثار في الدراسات النحوية، وما يوليه النحاة المحدثون من اهتمام بإصلاح النحو وتيسيره، ثنوه إلى الحاجة الماسة لدراسة تنقطع له وتختص به، فتقوم منهجه وتضع نظريته في حلقة مناسبة من حلقات تطور درس النحو .

إن لهذه الفلسفة النحوية لابن مضاء انقسام الناس حوله إلى طائفتين :

طائفة جعلته الرائد المجدد الذي استطاع بجهده أن ينحو طريقا في النحو بأيسر الطرق، وطائفة لم تقتنع بما جاء في كتابه "الرد على النحاة " ورأت فيه ميلا إلى هدم النظرية النحوية.

إن موضوع "تجديد النحو عند ابن مضاء" محاولة لرسم بعض جوانب تجديد النحو وعرضه على أسس مما فيه من تعقيد وعسر .

وتناولنا في موضوعنا هذا –تجديد ابن مضاء– مدخلا وثلاثة فصول. فالمدخل تضمن عناصر أساسية هي :

النحو ونشأته، بالإضافة إلى أهمية النحو وأصول النحو كما تناولنا حركية النحو قبل ابن مضاء .

وخصصنا الفصل الأول للتحدث عن ثقافة ابن مضاء وأثرها في الدعوة إلى التجديد وتحدثنا فيه عن ثقافة ابن مضاء .

وأثر المحدين والمذهب الظاهري .

وتناولنا في الفصل الثاني تجليات التجديد في النحو عند ابن مضاء وتضمن هذا الفصل أهم ما قام به ابن مضاء وتمثل ذلك في رفضه العامل النحوي واعتراضه على العلل والقياس وإسقاطه من النحو التمارين الافتراضية وكل ما لا يفيد نطقا .

وتحدثنا في الفصل الأخير عن أثر هذه الدعوة –دعوة ابن مضاء إلى التجديد– للتجديد على النحاة المحدثين .

من كل ما تقدم هو بصدد التحدث عن تجديد النحو عند ابن مضاء ودوره وأثره في الدعوة للتجديد ويتبادر إلى أذهاننا التساؤل الرئيس التالي : مامدى فعالية تجديد النحو عند ابن مضاء وأثرها في الدرس النحوي الحديث ؟

ابن الباحث دائما منطقا يغدمد عليه في اختياره لموضوع بحثه، باعتبار أن انتقاء أي بحث لا يكون مبنيا على العفوية بل يخضع لعدة اعتبارات وعوامل الموضوعية منها والذاتية تدفعه لاختيار موضوع دون آخر، ويمكن القول أن سبب اختيارنا لهذا الموضوع –تجديد النحو عند ابن مضاء – يكمن في الأسباب التالية :

- قلة الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع من الجانب اللغوي بغض النظر عن الكتابات ذات الطابع التعليمي .
- الرغبة الجادة في محاولة التعرف على عوامل التجديد في النحو عند ابن مضاء .
- لإشباع الفضول اللغوي ومحاولة الإطلاع على ما كتب في هذا المجال والتعمق فيه، بينما كانت أهدافنا معرفة النحوية عند القدماء وتطورها عند المحدثين، ومعرفة أهم العلماء المحدثين لهذه الحركة التجديدية في الدرس النحوي كما اردنا من خلال كل هذا إلى التعرف على أهم العوامل والأسس في تنمية هذه الحركة .

الفصل الأول

تمهيد :

لا شك أن موضوع النحو من الموضوعات التي شغلت الانسان عبر أزمنة مختلفة، واهتم به النحاة القدماء لا سيما علماء أصول الدين والفلاسفة والنحاة يتابعون واحدا في إثر واحد و مدرسة بعد مدرسة في إنشاء النحو العربي و تطويره و تأصيله مضمونا و تصنيفا و منهجا حتى بلغ مرحلة من النضج العلمي و الوضوح المنهجي.

فكانت الإنطلاقة من مدرستي البصرة و الكوفة التي إتسمت كل منهما بطابع خاص في البحث و الإتجاه منهجا و تحليلا ، وذلك بالخلط بين المبادئ اللغوية و الفلسفية وغيرهما فقد انفردت المدرسة الكوفية باعتمادها على المسموع و القياس عليه ، بالإضافة إلى التوسع في الأخد عن العرب و عدم تحديد البيئة بالنسبة لهم.

أما المدرسة البغدادية فقد جمعت بين المدرستين منهجا وتحليلا مع إضافات أخرى بفضل أبحاث علمائها واجتهاداتهم التي اقتصرت على القراء والتحليل والرحلات ثم جاءت المدرسة الأندلسية بعد هذه المدارس الثلاث المذكورة آنفا، وكانت مثالا للتميز والانفرادية وهدم لأصول النظرية النحوية وتطويرا للدرس النحوي، فكانت مرحلة جديدة مختلفة عن سابقاتها .

1.مفهوم النحو : منذ فجر الحضارة العربية نهض أصحابها يدرسون اللغة ويضعون القوانين التي تحكمها واصطلحوا على العلم الذي يدرسها علم النحو .

جاء في رواية أن حاكم البصرة شكا فساد لسان ابنته لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فوضع له بعض أبواب النحو وقال له: انح هذا النحو، ومن أجل ذلك سمي باسم النحو[1].

النحو لغة: هو القصد.

أما إصطلاحا: هو علم يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعرابا و بناء[2].

وعرفه ابن جني: " انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتكسير ، وغير ذلك ، ليحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شد بعضهم عنها رد به إليها"[3].

أما التأخرون فقد عرفا النحو بقولهم: " العلم المستخرج بالمقاييس الستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي يتألف منها."[4]

2– أهمية النحو:

يعد النحو ضرورية لكل دراسة في الحياة العربية – في الفقه والتفسير والأدب والفلسفة وغيرها من العلوم – فلا يمكن إدراك المقصود من النص اللغوي دون معرفة بالنظام الذي تسير عليه اللغة.

[1] شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، ط7، (د.س)، ص15.
[2] عبد علي حسين: أصول إعراب اللغة العربية، دار دجلة، الأردن د.ط، سنة 2008، ص16.
[3] ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، سنة 1952، ص34.
[4] نقلا عن: نادية رمضان النجار: اللغة وأ،ظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء ، الإسكندرية، ص146.

ويمكن حصر غاية النحو في ما يلي:

- الإستعانة بالنحو لفهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – لأنه هو الذي ينظم حياة الإنسانية.
- الحفاظ على اللغة باعتبارها وعاء الفكر ومرآة الحضارة الإنسانية.
- يساعد النحو على كشف العلاقات بين الكلمات وترابطها داخل التركيب[1].

يقول عبد القاهر الجرجاني: "إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى الإعراب هو الذي يفتحها وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها وأ،ه المعيار الذي يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض على المقاييس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه وإلا من يغالط في الحقائق".

3-نشأة النحو:

بعد الفتح الإسلامي وانتشار الإسلام في مختلف الأقطار العربية، كان العرب وغيرهم من الأعاجم يغدون ويروحون داخل هذه الأقطار على ماهم عليه من شظف العيش وتبادل المنافع وكان في اختلاط هذا تفشى اللحن بين الناس وفساد اللسان العربي وغلبت السليفة في اللغة العربية، وظهر احتكاك بين الإسلام والأديان الأخرى بعض بعض الفرق الإسلامية للدفاع عن الإسلام كالمعتزلة وغيلرهم من أصحاب الآراء.

فعظم النشاط الفكري وكانت الإنطلاقة الأولى من البصرة على إثر بعض القراءات لبعض الآيات من الذكر الحكيم التي مسها اللحن، وقد روي أن الحجاج بن يوسف الثقفي هو ذروة في الخطابةوالبيان يلحن في حرف من القرآن الكريم.

[1] تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص227، نقلا عن نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين،ص151.

إذ كان يقرأ قوله عز وجل: " قل كان آباؤكم وأبناؤكم أحب" بالضم – أحبُ – والأصح أن تقرأ منصوبة – خبر كان –.[1]

كما ظهر في كلام المالي والمتعربين في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد روي أن رجلا لحن بحضرته فقال:" أرشدوا أخاكم فقد ضل" وقال أبوبكر:" لإن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن".[2]

فحرص العربي المسلم أشد الحرص على فهم القرآن وقرائته قراءة صحيحة سليمة من شوائب اللحن، وخاف على فساد لسانه وامتزاجه بألسن الأعاجم، وبخاصة في البوادي أهل الفصاحة والبلاغة، فوضعوا قواعد وضوابط للغة العربية وبدؤوا بضبط المصحف عن طريق وضع النقط والحركات حتى أتوا على آخره .

يعد أبوا الأسود الدؤلي أول من وضع منطلقات لرسم العربية، يحرك أواخر الكلمات في القرآن والعربية متخدا كاتبا من بني قيس فقال له: " إذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه وإذا صممت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت شفتي فاجعل مكان النقطة من تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين" وابتدأ أبو الأسود المصحف على أعلاه وإذا ضممت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين" وابتدأ أبو الأسود المصحف على أتي على آخره.[3]

ويقول ابن سلام الجمحي:"كان أول من أسس للعربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي، وإنما قال حين اضطرب اللسان وغلبت السليقة وكان سراة القوم يلحنون، فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم".[4]

ويعود له الفضل وتلاميده في ترك الأجيال التالية مصحفا لا يعتمد في أداء نصوصه وإعراب ألفاظه مجرد ما تحفظه ألواح الصدور فحسب، وإنما رموزا ورسوما لا تدع مجالا للتردد.

---

[1] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص12.
[2] الشيخ محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف،ص12.
[3] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص16.
[4] نقلا عن المدارس النحوية، ص15.

4- أصول النحو العربي:

في مطلع القرن الثاني للهجرة، اجتهد بعض النحاة في وضع ضوابط وأسس لتقنين اللغة العربية، فبعد أن كانت المبادرة من أبي الأسود الدؤلي في مرسم العربية – وضع حركات أواخر الكلمات ونقط الحروف المعجمة – جاء أبو إسحاق الخضرمي (ت 117) والذي يعد أول من بعج النحو ومد القياس، يقول ابن سلام الجمحي:" أومن بعج النحو ووضع القياس وشرح العلل"[1]

وتبعه في هذا كوكبة من النحاة في صياغة النحو في أدق صوره العلمية منهم الخليل الذي وضع أسسا وقواعدا ضبطها تلميذه سبوية في" الكتاب".

أولا: السماع:

كان العرب يتشددون فيما يضعونه و يختارونه شواهدا لقواعدهم النحوية، إذ كانوا لا يتثبتون إلا ما سمعوه عن العرب الخلص الذين لم يخالطوا سائر الأمم وأقوام العجم وبنوا شواهدهم على ما يسمعونه عن الكثرة الشائعة التي لم يمسها اللحن، وارتبط أيضا بالقرآن الكريم والحديث الشريف وعرف السيوطي السماع بقوله:" هو ما ثبت في كلام العرب من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى وكلام بنيه – صلى الله عليه وسلم – وكلام العرب قبل بعثه وفي زمانه إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا من مسلم أو كافر".

ثانيا: القياس:

- اعتمد النحاة على القياس باعتباره " الأساس الذي نبني عليه ما نستنبطه من قواعد في اللغة أو صيغ في كلماتها أو دلالاتها في بعض ألفاظها فالقياس بمثابة الكيال أو الميزان الذي يبين الصحيح من الزائف وما يقبل وما يرفض ".

ويعتمد النحاة في القياس على كلام العرب وقد اتفقوا على أن ما يقاس عليه بكون من الكثرة المطردة أو يقاس على ما ثبت عن كلام العرب الأفذاذ الذين سلمت ألسنتهم من اللحن، كما قاسوا على القرآن الكريم وهو أوثق مصادر القياس اللغوي، كما أن العرب قاسوا على الحديث الشريف.

[1] ابن سلام الفجمحي : طبقات فحول الشعراء : نقلا عن المدارس النحوية ص 15 .

- وتكمن فائدة القياس في كونه " الوسيلة التي يجنح إليها الواحد منا لمحارات العرب في كلامهم والنسج على منوالهم لأن ما قيس عن كلام فهو من كلام العرب... وفائدة أن يغني المتكلم عن سماع كل ما أثر عن العرب".[1]
- اختلف البصريون مع الكوفيين في الطريقة التي يتم بها القياس، فاعتمد البصريون على الكثير المطرد المأخود عن أهل الفصاحة والعرب الخلص، أما الكوفيون فقد رجعوا عن منهج أساتذتهم فهم يقيسون على القليل الشاد والناذر.[2]

ثالثا: العامل:

اعتمد النحاة في تأصيل النحو العربي على العامل باعتباره أساسا تستقيم به اللغة، ويفهم المعنى ويبلغ المقصد.

فأسموا نظرية العامل وأصبحت أساسا يبنى عليه التحليل اللغوي في ضبط الكلمة والجملة وجعلها بعيدة عن اللحن والزلل، وأحدت هذه النظرية تتطور وتتفرغ بمنح العامل قدرة على ترك الأثر في تركيب الجملة من فعل، وإسم وحرف.

وقد بنيت هذه النظرية على أركان ثلاثة: العامل، المعمول، والحركة الإعرابية، بالإضافة إلى وجود نوعين من العوامل: عوامل لفظية، وعوامل معنوية.

واللفضية: ضربان قياسية وسماعية.

يربط سبويه بين العامل والأثر الإعرابي وهو ليس أول من تناول العامل بهذه الصورة بل تأثر بالخليل وبمن عاصروه وسبقوه وإذا كان العامل قرين القياس ونتيجة العلة فإن بين سابقي سبويه من شهر بالقياس والعلة.[3]

رابعا: العلة:

تعود بدايات العلة إلى عصر النحو الأول حيث تذكر المصادر أن أول من نهج العلل هو أبو إسحاق الحضرمي وتبعه في ذلك تلامذته ومن سار على نهجه إذ كانوا يطلبون تعليلا لكل كلام سمعوه وعسر عليهم فهمه وكانت كلها تعليلات تدور في مجملها حول دور العامل والمعنى، وقدم تعليلات مدعمة بالأمثلة قصد التوضيح.

إلا أن هذا التعليل كان محط خلاف في العصور المتأخرة إذ أن هناك من النحاة من يرفض التعليل النحوي ولاسيما نحاة الأندلس كإبن مضاء القرطبي.[1]

---

[1] علي عبد الكريم، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي،ص77،78.
[2] نفس المرجع،ص98.
[3] محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، دار الفكر، ص162.

"والعلة النحوية هي الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاد الحكم"[2]

قال سبويه:" ليس شيئا يطرون إلا وهم يحاولون به وجها".[3]

ويرى إبن جني أ، علل النحوي أقرب إلى علم الكلام منها إلى علم الفقه وليست منهما جميعا قال:" لسنا ندعى إلى أهل العربية في سمت العلل الكلامية البتة بل ندعي أنها أقرب إليها من العلل الفقهية".[4]

لقد أمن الخليل أن العلة قامت في عقول العرب لذلك أخد على نفسه عندما تناول العلة النحوية أن يلتزم جانب الحكمة والصواب في إستخلاص العلل التي بنيت عليها لغة العرب حيث اجتهد أ، يلتمس ببصيرته النافدة العلل التي استقرت في نفوس العرب لاثرائها وبسطها، ونستطيع أن نتبين ذلك من خلال آرائه النحوية التي ساقها سبويه في كتابه فقد ألم إلماما عجيبا بدقائق الجمل في العربية وتمثل أساليب العرب وتصرفهم في كلامهم بما كان يمتاز به من حس مرهف.[5]

- **حركية النحو العربي من المدرسة البصرية إلى الأندلسية:**

منذ العصر العباسي إلى يومنا هذا، وما أقامته كل مدرسة من دعم في الدرس النحوي إعتمادا على أصول وأسس تضبط النحو العربي حتى تستقيم اللغة.

---

[1] جهود النحاة، ص121،122.
[2] نقلا عن إبن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي،ص50.
[3] سبويه: الكتاب،ص 1،32.
[4] إبن جني: الخصائص، 1،53.
[5] إبن مضاء وموقفه من أصول النحو، ص53.

فكانت البداية من مدرسة البصرة فالكوفية والبغدادية ثم الأندلسية التي كانت قمة في التحليل المبنى على المبادئ الفلسفية ونقطة تحول في الدرس النحوي.

أولا:المدرسة البصرية: هي مدرسة أقامةدعائم النحو العربي على يد كوكبة كبيرة من النحاة والأئمة العرب كانت قمة في العلم والمعرفة كأبي إسحاق الخضرمي وأبي عمرو بن العلاء... وغيرهم.أسسوا للدرس النحوي ومدوا القياس وشرحوا العلل، وتابع هذا التأسيس الخليل إمام الأئمة وعالم النحو ومؤسس القواعد، ضبطت إجتهاداته في كتاب تلميذه سبويه الذي لا يزال اسمه مدويا عبر الزمان مقترنا بإسم كتابه " الكتاب " الذي يعد قمة في النحو وقوام المدرسة البصرية ومحور نشاطها ومادة علم البصرين، قال أبو العثمان المازني:" من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سبويه فليستح".[1]

وقد اختصت هذه المدرسة منذ النحاة الأوائل وآخرين تتلمذوا على أيديهم كالمبرد والزجاجي بأصول عنيت بالتعريف والعوامل والمعلومات والسماع والتعليل والقياس.

ثانيا: مدرسة الكوفة:

لا يمكننا ذكر مدرسة البصرة دون أن نذكر مدرسة الكوفة فهما وجهان لعملة واحدة، وهو إنشاء الدرس النحوي وتثبيت قواعده، وقد نشأت هذه المدرسة بعد البصرة بسنتين على يد أئمة تتلمذوا على أيدي أئمة البصرة كالكسائي والفراء اللذين أقاما المذهب الكوفي، وكان لهذين الإمامين – الكسائي والفراء – تنافس شديد حول الكثير من القضايا العربية التي عملها سبويه، وفتحا باب الخلاف بين المدرستين، كان إختلافا منهجيا واختلافا في التحليل والمصطلح (التمييز والتفسير).

وإن من خصائص المدرسة الكوفية إعتمادها في السماع على القليل الناذر وجعلهم له أصلا يقاس عليه، واستخدام للقياس دون إسناد إلى سامع، وتوسعهم في الإباحة وإجازة ما لايجيزه غيرهم ، فكان قياسهم إجتهادا لا يمكن أن تبنى عليه دعائم للدروس النحوية لما شمله من خصائص غير معللة.

ثالثا: مدرسة بغداد:

[1] عبده الراجحي: دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية بيروت، د.ط، سنة 1975 ، ص12.

عمل نحاة المدرسة البغدادية على الجمع بين نحو البصرة والكوفة، إذ كان نزوع نحاتها يميل أكثر إلى البصرة أكثر منها إلى الكوفة ويقول شوقي ضيف في مقدمة كتابه" المدارس النحوية": " إن عالميها الأفذاذ أبا علي الفارسي وابن جني كثيرا ما يكنيان عن البصرين في مصنفاتهما بإسم أصحابنا مما جعل كثرة المعاصرين تظن أنهما بصريان حقا"[1].

وعني ابن جني بتفسير الآراء فيما يخص العامل الذي اعتبره النحاة الأوائل أصلا من أصول النحو وقواما يقوم عليه الدرس النحوي والمقسم إلى عوامل لفظية وعوامل معنوية، وهذه الألفاظ هي ما تجعل معمولاتها تنصب وترفع وتجزم وكذا المعنوي (كالإبتداء)، فإبن جني لم يذهب إلى إلغاء دور العامل والعامل في ذاته في نظرية النحو إنما هو ذهب إلى تفسير آخر هو أن العامل هو المتكلم، فالمتكلم هو الذي يجري الرفع والنصب والجر، يقول إبن جني:" وإنما قال النحويون: عامل لفظي وعامل معنوي ليروك أن بعض العمل يأتي مسببا عن لفظ يتعلق به، كرفع المبتدا بالإبتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الإسم هذا ظاهر الأمر، وعليه صفحة، فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل مع الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو المتكلم نفسه".[2]

رابعا: المدرسة الأندلسية:

[1] المدارس النحوية، ص6،7.
[2] ابن جني الخصائص : نقلا عن محمحد حماسة عبد اللطيف، العلامة الاعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص 171 .

جاءت المدرسة الأندلسية بعد المدارس الثلاث – البصرية، الكوفية، البغدادية – فكانت مجالا للنشاط الحي في الأندلس على إثر الفتح الإسلامي وكان النحو وسيلة أساسية لفهم النص القرآني.

أقبل الأندلسيون على تعلم العربية وتعليمها خاصة النحاة الأوائل كانوا أكثر ولوعا بنحو الكوفة وبكتاب سبويه الذي أحتل الصدارة عندهم والذي قام بشرح هذا الكتاب العديد منهم أبو بكر الخشي وإبن الطراوة وغيرهم.

غير أن هذا النحو لم يبق بما يحتويه من أصول على عادته بمجيء النحوي الأندلسي إبن مضاء القرطبي الذي أثر إتجاهه العقائدي والفلسفي على النظرية النحوية وأحدث تغييرا على سابقيه من نحاة المدارس الثلاث مبينا ذلك في كتابه " الرد على النحاة ".

- رغم اختلاف النحويين في الآراء من مدرسة إلى أخرى في التحليل والمنهج فإن نشاطهم العلمي هذا أسس لعلم قام بذاته لعصور طوال مبني على ركائز وأسس وضوابط خدمت اللغة العربية بتخصصاتها ويعتبر اتجاه ابن مضاء في هذا المجال إستثناء بما أتى به سابقوه وتهديم لما قدموه نقطة تحول مهمة يجدر بنا الوقوف عندها من خلال ما جاء به في كتابه "الرد على النحاة ".

التعريف بإبن مضاء القرطبي:

هو أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن سعيد بن حريث بن عاصم بن مضاء بن مهند ابن عمير اللخمي، ينحدر من أسرة اشتهرت فيما نقل صاحب الذيل والتكملة بالفروسية والشجاعة، يكنى أبو جعفر وأبوالعباس، وأبوالقاسم ويلقب غالبا بالقرطي نسبة إلى قرطبة وابن مضاء نسبة إلى جده السادس.

نشأ فيلا قرطبة العاصمة الثقافية بالأندلس يومذاك والمدنية التي أسهب المؤرخون في الإشادة بمجدها الثقافي.

إبن مضاء جياني الأصل قرطبي النشأة أندلسي الوطن، ولد بقرطبة سنة ثلاثة عشر وخمسمائة للهجرة.

امتاز ابن مضاء بالإستقامة وحسن الخلق والإيمان بالله فقد كان عفيفا شريفا يخشى الله، ولا يخاف في لومه لائم يقول المراكشي صاحب الذيل والتكملة:"كان طيب النفس، كريم الأخلاق ، حسن اللقاء، جميل العشرة، لم ينطو قط على أخيه المسلم، عفيف اللسان، صادق اللهجة، نزيه الهمة، كامل المروؤة".[1]

شيوخه:

يذكر المؤرخون أن ابن مضاء قد تتلمذ على عدد كبير من العلماء فأخذ منهم أصول العربية وعلم التفسير، وعلما اللغة والنحو وغير ذلك من سعة المعارف وفقه اللغة نذكر منهم:

- القاضي عياض: ذو أصل مغربي سبتي الدار والميلاد كان إماما وقته في الحديث وعلومه كان عالما بالتفسير ، فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام الحرب ومنه أخد ابن مضاء وأرسى قواعد علمه اللغوي والفقهي وزاد من علمه شيخه الإلمام القاضي أبوبكر محمد بن عبد الله بن العربي المغافري والمعروف بابن العربي الذي كان واسع العلم – حصيل العلم الشرقي – دمشق، بغداد، الحجاز، على اثر رحلاته التي خصصها لجلب المعارف.

كما يعد بن الرماك من أكبر الأساتذة تأثيرا على ابن مضاء في المجال اللغوي، إذ يبدوو أنه أطال ملازمته ودرس عليه كتاب سبويه، ودرس العربية على يد ابن سحنون الذي الذي كان أستاد النحو والأدب، وشاعر بليغ عارف بالحساب.[2]

ثقافته:

[1] نقلا عن: إبن مضاء وموقفه من أصول النحو،ص13.
[2] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو، ص15،17.

نشأة ابن مضاء منقطعا إلى طلب العلم في موطنه بالأندلس فتتلمذ على أيدي أئمة النحو واللغة، كالقاضي عياض والرماك وغيره واطلاعه الواسع على مجمل الفقه على اثر الرحلات التي قام بها طالبا للعلم ناشرا له حيث عمل مدرسا في مراكش.

كما خطي بتدريس أبناء الخليفة عبد المؤمن، توجه إلى قرطبة موضع العلم والعلماء رفقة أبي إسحاق والي قرطبة يومئذ وغيرها من المدن الأخرى، حيث ألم إلماما كبيرا بثقافة عصره فقد جمع من العلوم الدينيةواللغويةوالطب والفلسفة والهندسة، مما جعله يحضى بإكبار وتقدير معاصريه.

تبوأ منصب قاضي الجماعة في الدولة الموحديه ومن يطلع على كتابه "الرد على النحاة" يقف مدى اطلاعه واستعابه شتى أفانيين العلم والمعرفة.[1]

وقد اتفق المؤرخون على أن ابن مضاء ألف ثلاثة كتب هي:

- الرد على النحاة.
- المشرق في النحو.
- تنزيه القرآن الكريم عما لايليق بالبيان.[2]

فالكتاب الأول – الرد على النحاة –كان بمثابةثورة على نحاة المشرقوسبويه، ألفه في عصر الموحدين تأثر بالثورة الموحدية على المرابطين والمذهب الظاهري بخاصة.

- **العوامل المؤثرة في النحو عند ابن مضاء:**

[1] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو، ص9-10.
[2] المرجع نفسه، ص18.

أثر الموحدين في ثقافة إبن مضاء:

عرفت الأندلس إثر الفتوحات الإسلامية وحقبة خضوعها للدولة الموحدية إزدهارا علميا على يد مؤسسها محمد ابن تومرت الذي ينحدر من أسرة بربرية هي قبيلة "هوغة" إحدى بطون قبيلة مصمودة الكبرى التي تعتبر أكثر القبائل البربرية عددا وأشدها بأسا.

وكان ابن تومرت قد ارتحل إلى المشرق في المائة السادسة وأفاد علما واسعا، والتقى بالإلمام الغزالي كما التقى بأئمة الأشعرية وأخذ عنهم ما استحسن من الآي والأحاديث ثم عاد إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم[1].

كان ابن تومرت يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذ يخطو خطوات مدعيا أنه الإمام المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا، فبايعه أصحابه الذين سماهم بالموحدين، وأخذوا يشنون حروبا طويلة ضد فقهاء المرابطين على أساس دعوة دينية ضد فقهاء المرابطين الذين يقفون موقفا متشددا من علم الكلام لتمسكهم بمدهب السلف، فكفروا كل من خاض في شيء من هذا العلم.[2]

فإبن تومرت الذي درس علم الكلام بالمشرق هاله موقف المرابطين من هذا العلم فحمل حملة شديدة اتهمهم بالجمود ورماهم بالتحسيم والكفر وأخذ يدعو إلى علم الإعتقاد على طريقة الأشعرية.[3]

[1] فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط1، سنة2008.ص19.
[2] العبر وما بعدها 127/6 نقلا عن الشعر الأندلسي في عصر الموحدين،ص19.
[3] المرجع السابق، ص59.

فكانت ثورته قبل كل شيء ثورة فكرية هدفها إطلاق العنان لحرية التفكير وتجديد الدين عن طريق إمالة المنكر واخماد البدع، لم يستطع المهدي أن يجني ثمار دعوته، إذ توفي بعد تسع سنوات من مبايعته، وحمل راية الجهاد بعده تلميذه عبد المؤمن بن علي، وكان المهدي قد آثره بمزيد من الخصوصية والقرب بما خصه الله به من الفهم والوعي والتعليم حتى كان خالصة الإمام وكنز صحابته.[1]

حمل هذا اللواء بعد المهدي الذي يعد المؤسس الروحي لها، فعبد المؤمن بن علي أول من أمر فتح الأندلس بعد أن قضى على دولة المرابيطين بالمغرب التي وجدها ممزقة إلى دويلات الطوائف وتعلقت آمالهم به بعد أن سمعوا بدعوته الجديدة و شقت الأندلس وبلاد المغرب ازدهارها العلمي بحرية وإنطلاقة الفكر و الإتجاه " ومن ثم فإن الدعوة الموحدية لم تكن مجرد حركة سياسية قامت لتحل محل دولة أخرى هي دولة المرابطين وإنما هي ثورة فكرية كان إطلاق حرية الفكر وتجديد الدين عن طريق إماتتة المنكر وإخماد البدع".

وكان ذلك لتشجيع العلماء وإجلالهم الأثر الكثير والعناية اكبيرة بالدين، محاولين تجديد الفقه، وحملوا الناس على التمسك بالقرآن والسنة وحولوا القضاء على تشتيت الآراء وتشعبها.

إزدهرت الدراسات اللغوية بالأندلس في هذا العصر وظهر عدد كبيير من مشاهير النحاة واللغويين الذين حظوا بشهرة واسعة في المشرق والأندلس على حد سوى كإبن عصفور حامل لواء التجديد في النحو وإنعاش الحركة اللغوية وقد كان ابن مضاء معجبا بثورة الموحدين فحاول تطبيق ذلك على النحو.

[1] الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص47.

المذاهب الفقهية وتأثيرها في النحو :

شغف الأندلسيون بدراسة النحو العربي الكوفي البصري خاصة بعد دخول كتاب سيبويه والملقب بقرآن النحو، وقد عني عناية كبيرة على مستوى الحياة الفكرية وخاصة في حقلي اللغة والدين فقد كان علماء النحو في الأندلس مقربين من الفقه ومتأثرين بالمذاهب الفقهية، فنحاة الأندلس أكثر تأثرا بالفقه من غيرهم من العلماء في أي مكان فهذا أبو موسى الهواري "أول من جمع الفقه في الدين وعلم العرب بالأندلس"[1]

فمنهم –علماء الأندلس– من كان نحويا فقيها في المذهب المالكي أمثال أبي صالح المعارفي .

وقد أثر المذهب المالكي تأثيرا واضحا تجلى في كثرة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، أما المذهب الفقهي الذي كان له أعظم الأثر في النحو الأندلسي فهو المذهب الظاهري الذي ينادي بالأخذ بظاهر النص دون الحاجة إلى الغوص في متاهاته أو تحميله أكثر مما يطيقه . هذا المذهب الذي تبناه الإمام ابن حزم واجتهد برأيه في مجال النحو الذي كان له مكانة مميزة عنده ويرى أنه لو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن وفهم الحديث ولو سقط لسقط الإسلام، ويعد ابن حزم تعلم النحو واجبا على كل من يريد أن يجلس ويفي الناس .[2]

وهذا النحو الذي يدعو إليه يجب أن يناسب مذهبه الفقهي الظاهري الرافض للقياس والاجتهاد والجدل، والعلة التي يعتبرها –في النحو– فاسدة لا يرجى منها شيئ إلى الحقيقة البتة .

إن أفكار ابن حزم النحوية مستمدة من أفكاره الفقهية التي ذكرها في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام" حيث فند كل ما يعرف بالقياس والتعليل والتأويل الفقهي ودعا إلى الأخذ بظاهر النص، وإلى جانب اتجاهه الفقهي فقد كان مراده تلخيص النحو من التعقيد وتدريسه بأبسط الطرق وأيسرها.

وقد كانت هذه الأفكار الفقهية والنحوية محط اهتمام العالم الكبير ابن مضاء القرطبي، الذي جاء بحوالي قرن ونصف بعده فناقشها ودافع عنها واتفق مع ابن حزم فيما ذهب إليه من بطلان العلل النحوية وما كتابه " الرد على النحاة" إلا خلاصة لفكره الجديد في النحو الذي استمده من المذهب الظاهري .

[1] نقلا عن ك جهود النحاة في تسيير النحو، ص 17 .
[2] المرجع نفسه، ص 18 .

ابن مضاء والمذهب الظاهري :

ازدهرت الدراسات النحوية في عصر الموحدين بالأندلس، وحدا النحو طريقا غير طريقه كالعلوم الدينية، وحظي ابن مضاء بشهرة واسعة في المغرب والأندلس بفلسفته النحوية (التي جاءت متناقضة، للفكر النحوي الخليلي رغم غذائه الفكري النامي وتتلمذه على يد الرماك الذي درس كتاب سيبويه .

وتعد السياسة المتزامنة لابن مضاء مؤثرا في تغيير وتجديد واصطباغ النحو بصبغة فلسفية ناتجة عن نزعة دينية مناهضة لنزعة المذاهب الأربعة (المالكي، الحنبلي، الحنفي، الشافعي)

رغم تتلمذه وتزامنه —ابن مضاء– مع النحاة الذين قصرت أبحاثهم النحوية على كتاب سيبويه كأبي علي القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي صاحب "النوادر" و"البارع"وغيرها من كتب اللغة والنحو والأدب والذي عاش بقرطبة وظل يدرس بها ويملي كتاب سيبويه، وكذلك أبي بكر الزبيدي الذي درس كتاب سيبويه واستدرك عليه كثيرا من المسائل النحوية والصرفية [1] فقد انحاز ابن مضاء إلى المذهب الظاهري الذي تبناه أميره الخليفة عبد المؤمن .

المذهب الظاهري : يتفق المختصون في هذا الموضوع على ان الفضل في نشأة المذهب الظاهري يعود إلى داود بن خلف البغدادي مقاما للأصفهاني نسبا، المولود عام 202 هـ ، تخرج داود على يد تلاميذ الشافعي، والتقى بكثير من الصحابة وله فضل الشافعي المصنف وظل يكن كل التقدير لأستاذه الامام الشافعي، وقوت دعائم الفقه الظاهري وتوطدت أركانه مع عالم الأندلس علي بن أحمد بن سعيد بن خدم، الذي أهلته سعة اطلاعه وإتقانه لعلوم كثيرة لأن يكون باعث هذا المذهب الذي امتد أثره حتى شمل الحياة السياسية في المغرب والأندلس "لا يخضع لحكم من الأحكام إذا لم لم يقتنع بصوابه وكان جدليا من طراز غريب، تحب مقارعة الأنداد ويلقى لذة تحديهم والتهجم عليهم، وقد كلفته هذه المسيرة ثمنا غاليا، إذا أحرقت كتبه وطفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسرونه عن بلادهم إلى أن انتهوا به إلى منقطع أثره "[2]

"كان المرابطون يعتنقون مذهب أهل السنة ويتمسكون بمذهب الإمام ملك (الذي كان يسود بلاد المغرب والاندلس، وفي أواخر عهدهم ازدهرت علوم الفروع فلم يكن يحظى عندهم إلا من برع في مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب ونبذ ما سواه وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسوله"[3]

وقد حمل الموحدون على فقهاء المالكية وحاولوا أن يخلصوا الفقه من ذلك المسلك المتشعب الذي أخذ يسير فيه وأن يردوا الناس إلى قراءة كتب الحديث واستنباط الأحكام منها وملخص مفهوم المذهب الظاهري فقهيا هو أن يحمل الناس على

---

[1] كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج2 ص 280، نقلا عن ابن مضاء وموقفه من النحو ص 24 .
[2] عبد اللطيف شرارة: ابن حزم ص 49. نقلا عن ابن مضاء وموقفه من أصول النحو ص 29 .
[3] محمد عبد الله عنان (640/2) عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس .

الظاهر من القرآن والحديث بعد أن تشعبت الآراء التي أحدثت في الدين[1]. لذلك ذهب ابن حزم إلى أنه لا رأي في الدين فليس لأحد أن يجتهد برأيه ويدعي أن ذلك حكم الله تعالى، وأن ما يصل غليه فرأيه هو حكمه هو، وليس حكم الله تعالى، ومن قال في الدين برأيه هو عند ابن حزم مفتر على الله، وبذلك يكون قد سد باب الاستنباط بالقياس والاستحسان والتعليل فهو لا يأخذ بالنصوص [2]

وله في ذلك أدلة يزعم أنها تدعم رأيه ومنها قوله تعالى "ما فرطنا في الكتاب من شيئ"[3]

الظاهرية وأثرها في الحركة اللغوية :

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب : عبد الواحد المراكشي ص 355 نقلا عن : الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ص 54 .
[2] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو ص30.
[3] الأنعام الآية 38.

ويتضح مما قام به ابن مضاء من تجديد هو تأثر بالمذهب الظاهري الذي ساد فروع العلوم من فقه وفلسفة وأدب، وكان واضحا أثره في النحو، فقد دعا في كتابه "الرد على النحاة" إلى تصنيف النحو تصنيفا جديدا وطالب بإلغاء نظرية العامل وغيرها من العلل والأقسية والتأويلات التي تفسد النحو وتعقده، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني عنه النحوي وأنبه على ما أجمعوا الخطأ فيه "[1]

فقد واكبت ثقافته عصر الازدهار في الفلسفة الذي كان فيها قبل عند المرابطين علما ممقوتا لا يستطيع صاحبه إظهاره، وكان الفلاسفة يتحرضون للاضطهاد والقتل إذا جاهدوا بأرائهم [2]

إن المدقق في النحو عند ابن مضاء يجده تابعا من حرية الفكر وفلسفة النحو وانتعاش الحركة اللغوية بالأندلس ووجود ما يشبه المدارس النحوية التي تنفرد بآراء خاصة .

وقد سدد ابن مضاء سهام دعوته أو سهام ثورته غلى نظرية العامل التي أحالت كثيرا من جوانب كتاب النحو العربي، إلى عقدة صعبة الحل، عسيرة الفهم .

وقد ألف ابن مضاء كتابه "الرد على النحاة" في عصر عرف بعصر الردود، ويعد هذا الكتاب أكبر من دليل على الثورة لرد نحو المشرق على المشرقيين والذي جاء انعكاسا للثورة الفقهية التي أحدثها الأمير يعقوب على المذاهب الأربعة بحرق كتب المذاهب ردا للفقه المشرقي على المشرق الذي اعتمد الفروع دون الاصول واجتهادات أئمة المذاهب والتخلي عن القرآن والحديث وفي هذا الكتاب رد ابن مضاء على بعض أصول النحو وتخليصه من كثرة الفروع فيه وكثرة التأويل .

ونستخلص مما سبق ذكره أن ثقافة ابن مضاء الدينية والفقهية والفلسفية كانت لها الأثر الكبير في تحديد النحو والدعوة غلى ذلك وقد تجلى ذلك كلية في كتبه "الرد على النحاة" "المشرق في النحو".

تمهيد :

[1] الرد على النحاة : ابن مضاء، تحقيق شوقي ضيف ط2 ص76.
[2] الشعر الاندلسي في عصر الموحدين ص 64.

بلغ النحو العربي بعد الجيل الأول أمثال سيبويه والمبرد والكسائي الدرجة الكبيرة من التعقيد، وتمثل ذلك في مجمل المؤلفات في النحو التي أثقل كاهلها النحاة بأصناف من العلل والمعلول حتى ضاع دارسوا النحو في متاهات كبيرة، فكثرت الشروح وشروح الشروح للكتب المؤلفة .

ومتيجة هذا أحسن العلماء، وبخاصة نحاة الأندلس بضرورة القيام بتسهيل النحو وتحقيقه .

وقد اتبع علماء النحو العربي في المشرق والمغرب والأندلس طرقا عدة من أجل تقديم النحو العربي بقالب جديد يصلح لمواكبة الحياة، وكانت أولاها هي وضع الخطط والمنهاج المسير، وتصنيف الكتب العلمية المختصرة، والتي تسهل على القارئ أو المتعلم بصفة خاصة استيعاب قواعد النحو والوصول إلى غايته وهدفه بصدر من اليسر والسهولة دون الحاجة إلى مرور بتعقيداته [1]

كما عمد نحاة الاندلس —من أجل تبسيط النحو وتسهيله– إلى شرح كتب المشرق، وقد أحدث هذا أثرا كبيرا في تطور النحو العربي بالأندلس، وهذا لأنه لامس أشهر كتب النحو منها متاب سيبويه، كما شرحوا الكتب الأندلسية المعاصرة ولك بشكل أقل من الشروح السابقة [2] ، إلا أن هذه النتائج لم تحقق النتائج المطلوبة والمرغوب بها، فاتبع علماء النحو أسلوبا آخر، إلا أن هذه المرة كأن ثورة عنيفة شنها بعض علماء الأندلس وكانت غايتهم هي التسجيل والتسيير، وتمثل في رفض العلل والعامل باعتبارهما أهم العوامل الباعثة على تعقيد النحو.

ومن أبرز علماء النحو الذين برز وافي هذه الثروة وأطروا النحو ابن مضاء القرطبي الذي أفاد من المذهب الظاهري الداعي إلى الأخذ بظاهر النصوص من القرآن والسنة، وأراد تطبيق ذلك على النحو العربي وأهم ما دعي إليه هو تحطيم نظرية العامل وإلغاء العلل الثواني والثوالث .

تحطيم نظرية العامل :

[1] فادي صقر أحمد عصيدة، جهود نجاة الأندلس في تسيير النحو العربي، أطروحة دكتوراه سنة 2006، نابلس فلسطين ص 76 .

[2] المرجع نفسه ص 78 .

العامل النحوي أحد أهم الأصول التي بنى عليها النحاة القدماء نحوهم، ويعقد الفضل في تثبيت نظريسة العامل ومد فروعها وإرساء قواعدها إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ثبت صورتها على مر العصور فهو يرى "أنه لابد مع كل رافع لكلمة أو نصب أو خفض أو جزم عامل يعمل في الاسماء والأفعال المعربة ومثلهما الأسماء المبنية" [1]

يرى جمهور العرب أن العامل له دور هام في ضبط الكلمات وفق ما يحس ويدرك من معاني الكلام، مما يساعد المتكلم على التعرف على الحركة العرابية المنلاسبة ويساعد على القراءة الصحيحة، وحفظ النحو من الزلل وبهذا ظل العامل المحور الرئيس الذي تدور حوله أهم قضايا النحو .

وظلت نظرية العامل الذي أرسى النحويون القدماء قواعدها قائمة بمثابة دستور للنحاة "-قدماء كانوا أم محدثين- رغم ظهور فئة رافضة وداعية إلى إلغاء هذه النظرية [2] وهم من نادى بإلغاء العامل هو ابن مضاء القرطبي .

يرى ابن مضاء القرطبي أن النحاة القدامى حملوا النحو العربي أشياء هم في غنى عنها وألزموه ما لاحاجة له به، وقد سدد ابن مضاء سهام دعوته إلى نظرية العامل التي أحالت كثيرا من جوانب النحو العربي إلى عدة صعبة الحل وعسيرة الفهم يقول :"قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحو عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه"[3]

ومن ذلك : إدعائهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي أو معنوي، وأن الرفع منها ما يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا "صرب زيد عمرا" أن الرفع في "زيد" والنصب الذي في عمر إنما أحدثه "ضرب".

ألا ترى أن سيبويه —رحمه الله- قال في صدور كتابه : "إنما ذكرت ثمانية مجاز لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل وليس لشيئ منها إلا وهو يزول عنها ويبين ما نبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيئ أحدث ذلك فيه [4] .

أشار ابن مضاء في كتابه —الرد على النحاة — إلى أن هناك من سبق في فكرة العامل منهم إبن جني الذي أرجع العمل في النصب والرفع والخفض إلى المتكلم، إلا أن ابن مضاء على العكس من ذلك فهو يلغي ويصر على إنكاره للعامل ويبين من خلال ذلك فهو يلغي ويصر على إنكاره للعامل ويبين من خلال ذلك فساد رأي النحاة في العامل يقول :"أما القول بالألفاظ فيحدث بعضها بعضا فياصلا عقلا وشرعا ولايقول به أحد من العقلاء لمعان يطول ذكرها فيما المقصد

---

[1] شوقي ضيف : المرجع السابق ص 38 .
[2] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي ص 108، 109 .
[3] الرد على النحاة ص 76 .
[4] المصدر نفسه ص 76، 77 .

إيجازه : منها أن شرط الفاعل أن يكون موجودا حينما يفعل فعله، ولا يحث الإعراب فيما يحدث بعد عدم العامل فلا ينصب "زيد" بعد "إن" في قولنا "إن زيدا" إلا بعدم إن" [1]

يزعم ابن مضاء أن العامل لا يفعل شيئا لأن ذلك باطل وكل من يتصور ذلك فهو واهم والأوهام والأفعال كلها من وضع الله ولا يمكن رد الرفع أو النصب أو الخفض إلى العامل كما زعم النحاة القدماء .

ففكرة العامل توجهنا إلى التفكير في المحذوفات والمضمرات ولم يقصد إليها العرب حين نطقوا بكلامهم موجزا، ولو أن النحاة فكروا لنطقوا بها وخرج بذلك كلامهم من باب الإيجاز إلى باب الإطناب [2]

- اعتراض ابن مضاء على تقدير العوامل المحذوفة :

اعترض ابن مضاء على تقدير العوامل المحذوفة إلى ثلاث "محذوف لا يتم الكلام إلا به، حذف لعلم المخاطب كقولك لمن رأيته يعطي الناس : زيدا أي أعط زيدا فتحذفه وهو مراد وإن أظهرتم الكلام .... والثاني محذوف ولا حاجة بالقول به بل هو تام دونه، وإن ظهر كان عيبا كقولك "أزيد ضربته" قالوا إنه مفعول بفعل مضمر كقديره "أضربت زيدا" ... وأما القسم الثالث فهو مضمر، وإذا أظهر تغيير الكلام عما كان عليه قبل لإظهاره كقولنا "يا عبد الله" وحكم سائر المناديات المضافة والنكرات حكم "عبد الله"، وعبد الله عندهممنصوب لفعل مضمر تقديره أدعوا ....[3] إذ برهن على فسادها الذي تمثل في تعقيد النحو وجعله صعبا على الطالب والباحث في النحو العربي .

إن تصنيف النحاة الضمائر إلى بارة ومقدرة ومستترة أمر اعتبره ابن مضاء غير جائر واتهم النحاة بالتزيد في القرآن الكريم من غير حجة ولا دليل، "ومن بنى زيادة في القرآن بغير علم توجه الوعيد إليه، ومما يدل على أنه حرام، الاجماع على أنه لا يزايد في القرآن لفظ غير المجمع على إثباته، وزيادة المعنى كزيادة اللفظ بل هي أحرى لأن المعاني هي المقصودة والألفاظ دلالات عليها ومن أجلها"[4]

- الاعتراض على تقديره الضمائر المستترة في المشتقات :

---

[1] الرد على النحاة ص 77، 78 .
[2] المصدر نفسه ص 24
[3] الردعلى النحاة ص 78، 79، 80 .
[4] المصدر نفسه ص 82.

ينتقل ابن مضاء العوامل المحذوفة إلى الضمائر المستترة في المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة في مثل "ضارب" ومضروب، إذ يرى أنه ليس هناك أي داع لأن نبحث عن الضمائر المستترة فما دام اسم الفاعل عند النحاة في مثل ضارب تدل على الصفة وصاحبها وتحمل معنى الفعل والفاعل .[1]

فمثلا (زيد ضارب عمرا)، ضارب تدل على الفاعل غير مصرح باسمه فضارب موضوع بمعنيين، الأول دال على الضرب والثاني يدل على فاعل الضرب غير مصرح باسمه وزيد يدل على اسمه ضارب يدل على الفاعل غير مصرح باسمه وزيد يدل على اسنه فما الداعي إلى تقدير زائد [2]

- اعتراض ابن مضاء على تقدير الضمائر المستترة في الأفعال :

اعتراض ابن مضاء على فكرة استتار الفاعل مع الأفعال في قولنا (زيد قام) فحسب رأي ابن مضاء لا داعي لهذا الاستتار، فالفعل يدل على الفاعل دلالة لفظية ونحن نعلم أن الفاعل من صيغة ولفظه، فيعلم فاعله غائبا مذكرا وأعلم فاعله أنا [3] فما الداعي إذا إلى التقدير والتأويل إذا كان الفاعل معلوما ؟ الذي لم يزد النحو إلا تعقيدا .

- اعتراض ابن مضاء على تقدير متعلقات المجرورات :

إعترض ابن مضاء على تقدير متعلقات المجرورات وحاول أن يبرهن على فساد ما يزعمه النحاة القدماء أن المجرورات تقع أخبارا، أو صلات أو صفات أو أحوالا في مثل (زيد في الدار)[4]

فابن مضاء يرى أن هذا التقدير لا فائدة منه فالكلام تام دون هذه الزيادة .

- نظرية العامل في باب الاشتغال وحاول تغيير أحكامه ووجوه إعرابه، وثار على تقسيم النحاة لهذا الباب فالاشتغال من الأبواب التي يظن أنها تعسر على من أراد تفهيمها أود تفهمها لأنها موضع عامل ومعمول وداعية لي إلى إنكار العامل والمعمول، باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره مثل قولنا (زيد ضربته)[5]

وفي باب الاشتغال يعرض ابن مضاء طرفا من صور الإضطراب بين النحاة في مثل قولهم (أزيد لم يضربه إلا هو، أخواك ظناهما منطلقين، أأنت عبد الله ضربته)، ابن مضاء يحمل على هذه الصور وأمثالها التي لم تأت في العربية وجاءت في

[1] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو ص 130.
[2] الرد على النحاة ص 82 .
[3] الرد على النحاة ص 92 .
[4] المصدر نفسه ص 28، 29 .
[5] المصدر نفسه ص 103 .

كتب النحو وحمل دراسة النحاة للباب وتقسيمهم لصوره بين ما يجب رفعه وما يجب نصبه وما يترجح فيه الرفع أو النصب وما يدور فيه الأمران .[1]

وابن مضاء يرفض كل هذا لأنه يرى أن النظرية لا تجز أية فائدة تذكر . كما لم يغض ابن مضاء الطرف عن تقدير القدماء المضارع منصوب "بأن" محذوفة بعد فاء السببية و"واو المعية" ويبرز من خلال ذلك مدى تعسف نظرية العامل في التقدير والتأويل .

نظرية العامل في باب التنازع :

تعرض ابن مضاء إلى التنازع في العمل في محاولة منه تطبيق نظريته والتي تمثلت في إلغاء نظرية العامل من رفض لبعض الأساليب العربية إلا أن "من يقرأ الفصل الذي خصصه ابن مضاء لا يحدد فيه ما يشير إلى رفض نظرية العامل وعلى الرغم من ادعائه في مقدمة " الرد على النحاة" بأن نظرية العامل نظرية فاسدة وأن غايته من تأليف هذا الكتاب هو نفض الأسسس التي قامت عليها هذه النظرية، فقد تخلى ابن مضاء عن ثورته في الباب وتحول إلى نحوي مشرقي بصري المذهب فهو يصرح بوضوح أنه لا يعارض النحويين في هذا الباب [2]

وعلق قائلا : "فمن هذه الأبواب : باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل ما يفعل به الآخر وما كان نحو ذلك هذه ترجمة سيبويه رحمه الله، وأنا لا أخالف النحويين في هذا الباب إلا أن أقول : علقت ولا أقول أعلمت والتعليق يستعمله النحويون في المجرورات والفاعلين والمفعولين تقول : (قام وقعد زيد) فإن علقت زيدا بالفعل الثاني فبين النحويين في ذلك اختلاف "[3]

إن اعتراف ابن مضاء بالتعليق في التنازع اعترافا منه بالعامل فوقع في تناقض وارتداد على الخط الذي رسمه في أول كتابه إذ حين يعلق أحد الفعلين على فاعل إعترافا منه بأعمال الفعل واعترافه بالعامل دليل على تبنيه مذهب البصريين في هذا الباب ويحتج لهم بأعمال الفعل الثاني من قوله وبين النحويين اختلاف في أي الفعلين أولى أن يتعلق به الاسم فاختار البصريون الثاني للجوار وأختار الكوفيون الأول السبق [4] لم تكن نظرية العامل إلا واحدة من أصول النحو التي وضعها النحاة ولقيت رفضا من طرف هذا النحوي – ابن مضاء – الثائر على نحو المشارقة .

---

[1] الرد على النحاة ص 33 .
[2] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو ص 154 .
[3] الرد على النحاة ص 94 .
[4] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو ص 152 – 153 .

نظرة ابن مضاء في القياس النحوي :

اعتمد النحاة القدماء القياس منذ القديم في اللغة العربية، وقبل أن يضع أبو الأسود الدؤلي مبادئ النحو[1]

إلا أننا نجد ابن مضاء في كتابه "الرد على نحاة" يرفضه وبين مدى فساده، فالمدارس النحوية القديمة اختلفت في أقيستها بسبب اختلاف اغلمناهج التي تتبعها كل مدرسة، أما ابن مضاء فيرفضه وينكره لأنه لا توجد نصوص تدعمه و" العرب أمة حكيمة فكيف تشبه شيئا بشيئ وتحكم عليه بحكمه وعلة حكم الأصل غير موجودة في الفرع وإذا فعل ذلك واحد من النحويين ذلك جهل، ولم يقبل قوله، فلم ينسبوا إلى العرب ما يجهل به بعضهم بعضا وذلك أنهم لا يقيسون الشيئ على الشيئ ويحكمون عليه بحكمه إلا إذا كانت علة حكم موجودة في الفرع"[2]

لم يتوسع ابن مضاء كثيرا في باب القياس كما تطرق إلى العامل إلا ما تناوله في عدة مواضع [3] فذكر في باب التنازع

"فإن قيل : النحويون لم يذكروا في هذا الباب إلا الفاعل والمفعول والمجرور وهنا معمولات كثيرة على مذهبهم كالمصادر والظروف والأحوال والمفعولات من أجلها والمفعولات معها والتمييزات فهل تقاس هذه المفعولات أو لاتقاس إلى قوله وإلا ظهر ألا يقاس شيئ من هذا المسموع إلا أن يسمع في هذه كما سمع "[4]

ومن بين ما اعترض عليه ابن مضاء ما ذهب إليه النحاة "الأسماء غير المنصرفة تشبه الأفعال في أنها فروع كما أن الأفعال فروع ما بعد الأسماء فإذا كان في الاسم علتان أو واحدة تقوم مقام علتين" [5]

فهو يرى أن هناك أسماء شبيهة بالأفعال ومن هذه الأسماء التي لا تنصرف وهي منصرفة نحو (أقام، إقامة) فإقامة مؤنثة والفعل مشتق منه ودال على ما يدل عليه من الحدث [6]

إذا كان ابن مضاء يجد أسماء شابهت الأفعال ولم تمنع من الصرف فالنحاة القدماء يعدونها "أفعالا ضارعت الأسماء فأعطيت الإعراب" [7]

إن الظاهريين ينكرون القياس ويرفضونه إلا أن ابن مضاء ورغم انتمائه إلى المذهب الظاهري فهو لم يرفض القياس كله بل قبله بشروط فهو يشترط ألا يقيسوا الشيئ ويحكموا عليه بحكمه إلا إذا كان حكم الأصل موجودا في الفرع

---

[1] المرجع نفسه ص 100 .
[2] الردعلى النحاة ص 134، 135 .
[3] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو ص 144 .
[4] المرجع السابق ص 145 .
[5] الرد على النحاة ص 135.
[6] الرد على النحاة ص 136 .
[7] ما ينصرف وما لا ينصرف نقلا عن ابن مضاء وموقفه من أصول النحو 107 .

إلغاء العلل الثواني والثوالث :

هي دعوة أخرى من اجل تخليص النحو العـربي من الشوائب التي علقت به وعقدته وجعلته عسير الفهم .

يدعوا ابن مضاء في هذا المقام إلى الأخذ بالعلة الأولى فقط أما غيرها –العلل الثواني والثوالث" فالاخذ بها باطل لا يفيدنا في شيئ، لا تفيد معرفته ولا يضر جهله ولذلك نادى بإسقاط العلل الثواني والثوالث " وذلك مثل سؤال السائل عن "زيد" من قولنا "قام زيد" لم رفع ؟

فيقال إنه فاعل وكل فاعل مرفوع، ولم رفع الفاعل ؟

فالصواب أن يقال له : كذا نطقت به العرب [1] يقر بالعلة الأولى لرفع الفاعل ويرفض تعليل الفاعل ويحيل هذا الرفع إلى كلام العرب ولأنه لا يرى أي داع إلى معرفة تلك الدواعي أو تلك العلة، خلف رفع الفاعل أو نصب المفعول، وهنا نلاحظ أن ابن مضاء قد خالف الظاهريين في نظرتهم إلى العلة فهم يرفضون العلة رفضا باتا، في حين ابن مضاء اكتفى برفض العلل الثواني والثوالث .

- الدعوة إلى إلغاء التمارين غير العلمية :

لم يكتف ابن مضاء بإلغاء العلل وإنكار القياس والعلل الثواني والثوالث بل ها هو يدعو إلى إلغاء التمارين غير العلمية ومن مثلها قول النحاة :

ابن من كذا، مثال كذا) وكقولهم (ابن من البيع) مثال (فعل) فيقول قائل (بوع) أصله (بيع) فيبدل من الياء واوا لانضمام ما قبلها لأن النطق بها ثقيل" [2]

فأوضح فساد حجج النحويين، إذ يرى أن الناس عاجزون عن حفظ اللغة الفصيحة فكيف بهذا المظنون المستغنى عنه"[3]

---

[1] الرد على النحاة ص 103.
[2] المصدر نفسه ص 1038.
[3] المصدر نفسه ص 140 .

- **الدعوة إلى إلغاء مالا يفيد نطقا :**
- فهو يرى أن ما يجب أن يسقط من النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقا كاختلافهم في علة رفع الفاعل، ونصب المفعول وسائر ما اختلفوا فيه [1]

[1] المصدر نفسه ص 141 .

تمهيد :

ليس غريبا أن يكون التطلع إلى الفلسفة الكلامية في مرحلة من مراحل شيوعها في وسط الفكر العربي وأن تعمم مبادؤها واتجهاتها على مختلف العلوم التي كانت تغزو العقول وتحتل المراتب السامية في الأوساط الاجتماعية والثقافية كعلوم الشريعة والفقه واللغة وعلوم النحو، هذا الاخير اهتم به العالم النحوي ابن مضاء باعتباره اساسا تستقيم به اللغة وعلى أساسه يفهم كتاب الله وسنة رسوله .

وقد كان للمذهب الظاهري الأثر البالغ في ترجمة توجهات ابن مضاء النحوية بإسقاطه الاسس القاعدية للنحو البصري والكوفي فقد كان كتاب "الرد على النحاة أهم ما ألف في النحو إذ "يهدم فيه الأصول التي قام عليها النحو العربي في المشرق، وليس عجيبا لدى المتتبعين للفكر الاسلامي أن يتصدى ابن مضاء لنقد النحو العربي فالحق أنه لم يكن يقصد هدم النحو لذاته، وإنما كان يهدف إلى هدمه بإعتباره وسيلة لفهم الفقه المشرقي الذي اشترك هو في الثورة عليه" [1]

أثر دعوة ابن مضاء على النحاة القدماء :

[1] البير مطلق : الحركة اللغوية بالأندلس من الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، س 1965، أطروحة دكتوراه، ص 204 .

وقد أفرزت دراسات ابن مضاء القرطبي وجهات نظر لغوية وأخرى فلسفية وفقهية بقيت مطروحة عبر الزمان وفي مختلف الأمكنة العربية، وبخاصة إثر تطبيقه المذهب الفقهي على العلوم اللغوية، تختلف وما جاء به شيوخ النحو الأوائل –الخليل وسيبويه– الكسائي والفراء وغيرهم من أفذاذ اللغة.

وتواصلت الاجتهادات في بحثها تتابع الأجيال والمراحل والعصور، تهدف من ذلك غلى تيسير النحو العربي وتخليصه من شوائب علقت به على مر العصور .

ابن رشد :

تقبل ابن رشد هذه النظرية وكان له رأي في النحو، وكتابه "الضروري في علم النحو" الذي ألفه وجعل غرضه أن يذكر من علم النحو ما هو ضروري لمن أراد أن يتكلم عادة العرب في كلامهم ويتحرى في ذلك ما هو أقرب الامر الصناعي، واسهل تعليما وأشد تحصيلا للمعاني" [1]

وقد التقى ابن رشد في كتابه الداعي إلى "تيسير النحو" مع ابن مضاء القرطبي في كتابه"الرد على النحاة" فالكتابان تجمع بينهما الغاية وهي تيسير النحو العربي، ولكن يفترقان في الطريقة والمرجعية، فابن مضاء يتحرك داخل بنية النحو العربي، كما كانت منذ سيبويه، مع اسقاط كل ما لا يفيد نطقا الشيئ الذي يربطه بظاهرية ابن حزم، أما ابن رشد فيريد أن يعيد بناء النحو العربي وفق الترتيب الذي هو مشترك لجميع الألسنة [2]

عوامل ومظاهر التجديد في النحو عند المحدثين :

تأثر النحاة الأندلسيون والعرب بالنظرية التي أقيمت من طرف ابن مضاء –وهو قمة في اللغة والنحو والفقه – وتبعته كوكبة من النحاة كان غرضها دراسة النحو بأيسر الطرق وأسهلها حتى تسهل على الباحث الأخذ بها وبقواعدها وأسسها، فابن رشد عمل بفلسفته على تطوير الدراسة النحوية متبعا في ذلك القرطبي رغم الاختلاف في الدراسة، وكان له الاثر في ذلك كتابة المعنون"تيسير النحو" وقد لقيت هذه البحوث والدراسات الأولى الترحيب الواسع من طرف النحاة واللغويين المحدثين، فكتبوا وألفوا، وعللوا وبرهنوا على كل تساؤل حتى يفهم النحو –كما سبق الذكر به– وتستوعب اللغة في أيسر قوالبها ، كتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء القرطبي لقي الصدى الواسع عند المحدثين.

شوقي ضيف :

[1] فادي عصيدة : جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، سنة 2006، ص 14 .
[2] الجابري محمد عابد : التجديد في النحو ابن مضاء وابن رشد، نقلا عن فادي أحمد عصيدة : المرجع السابق ص 26.

يقول شوقي ضيف "من خمسة وثلاثين عاما عثرت في فهرس المكتبة التيمورية بدار الكتب المصدرية على كتاب بعنوان "الر د على النحاة" لابن مضاء القرطبي، فطلبته للإطلا ع عليه، وإذا هو مخطوطة مليئة بالتصحيف والتحريف، غير أن طرافة موضوعها أعزتي بتحقيقها ونشرها"[1]

كما انه عكف على إصلاحها وتصحيحها "مستعينا بأصول علم النحو وأمهاته المطبوعة والمخطوطة مما أشار إليه ابن مضاء في كتابه وما لم يشر إليه"[2]

وقد قدم الدكتور شوقي ضيف في "تجديد النحو " مشروعا لتيسير النحو ومؤتمر "حري بي أن أذكر أني قدمت إلى مؤتمر مجمع اللغة سنة 1977م مشروعا لتيسير النجو على ضوء ما رسمته في مدخل الكتاب من تصنيف جديد النحو"[3]

وأيضا كان باعثا لتأليف كتاب بعنوان "تجديد النحو" ويقول "وقد رأيت ابن مضاء يهاجم نظرية العامل في النحو وكل ما اتصل بها من كثرة التقدير للعوامل المحذوفة وكثرة العلل و الأقييسة مما أحاله إلى ما يشبه شباكا معقدة، وكلما تخلص دارسه من إحدى شباكه تعثر في أخرى، فضلا عن شباك التمارين الافتراضية وربما كانت حلقات نسجها أكثر ضيقا وأكثر هذه الشباك لا تدعو إليه حاجة لسانية في تصحيح النطق بالكلام .[4]

وقد وضع شوقي ضيف لكتاب "الرد على النحاة" مدخلا طويلا اقترح فيه تصنيفا جديدا للنحو أسسه على ثلاثة أسس.

وكان أساسه الأول تنسيق أبواب النحو على جوانب من آراء ابن مضاء أما الاساس الثاني استضاءت فيه بجوانب من آراء ابن مضاء في كتابه وبمقترحات نخبة وزارة المعارف السالفة الذكر وقرارات مؤتمر المجمع اللغوي .... والاساس الثالث أن لا تعرب كلمة لا يفيد إعرابها أي فائدة في صحة نطقها [5]

ثم أضاف شوقي ضيف أساسين ، اما الاساس الرابع هو وضع تعريفات وضوابط دقيقة لأبواب المفعول المطلق والمفعول معه والحال تجمع صورالتغيير في كمل منها جمعا وافيا .

أما الاساس الخامس فحذف زوائد كثيرة في أبواب النحو تعرص فيه دون الحاجة.[6]

---

[1] الرد على النحاة ص3.
[2] المصدر نفسه ص 3.
[3] الرد على النحاة ص 6.
[4] تجديد النحو : شوقي ضيف، دار المعارف، ط5، ص 3.
[5] المرجع السابق ص 4 .
[6] شوقي ضيف : المرجع نفسه ص 5.

- كما استفاد "محمد كامل حسن" وأفاد في كتابه "اللغة العربية المعاصرة" وكان صدى لتجديد النحو ودعى أيضا إلى إلى تسير النحو وتبسيط نظام اللغة لمل تخضع له من قواعد تجعلها معقدة "فاللغة ظاهرة طبيعية ونظامها على ذلك يجب أن يكون بسيطا غير معقد وكثرة القواعد التفصيلية تدل على ان واضع النظام لم يتبين الاصول الكبرى لصحة الكلام والقواعد المعقدة تدل بتعقيدها على أنها غير طبيعية وعلى انها لم تكن في يوم من الأيام رائد المتحدثين باللغة والاصل في القواعد الطبيعية الخصبة أن تكون شاملة مرنة .[1]
- وقد وضع حلا وسطا لاستعاب اللغة يقول "واعود واقول لا أدعو الى تغيير في مقاييس الصحة في العربية الفصحى وإنما أقول إننا نستطيع وضع قواعد بسيطة جدا يمكن أن يلم بها المتعلمون في وقت قصير فيتجنبوا اللحن في أكثر كلامهم [2] واعطى تعليلا فيما سبق يخص الإعراب "وذهب إلى المعنى هو الذي يحدد الإعراب، والعرب كغيرهم من الأمم تكلموا لغتهم معربة قبل أن يعرفوا قواعد الإعراب، ولا نزاع أن رائدهم في صحة الاعراب لم يكن إلا معاني العبارات وضرورة التفريق بين التراكيب المتشابهة، وكل ماعدا ذلك من القواعد دخيل على اللغة العربية [3]
- وقد حلت آراء بن مضاء تحليلا مفصلا ووضحت دعوته الى إلغاء نظرية العامل في النحو وما يتصل بها من العوامل المحذوفة عبر العصور ، وبخاصة عند المحدثين أمثال شوقي ضيف، ابراهيم مصطفى في "أحياء النحو" ومحمد كامل حسن في "اللغة العربية المعاصرة".
- واتخذه غير طالب في الجامعات العربية موضوع الرسالات الاكاديمية، كفادي عصيدة في أطروحته "جهود نحاة الاندلس في تيسير النحو العربي" وخص بالذكر ابن مضاء، وتأثر النحو بالمذاهب الفقهية، وخص له صفحة يتحدث فيها عنه وعن نزعته وعن تجاوزه للغة النحوية ليدعو إلى ترك العوامل .
- كما قدم الدكتور علي عبد المكارم أطروحته تحت عنوان "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي" وقد كانت شاملة لما احتواه درس النحو العربي .
- اذا كان النحاة القدماء لم يلتفتوا فيما يعدو صيحة ابن مضاء الداعية إلى هدم اركان النحو وصياغته في منهج جديد، فإن النحاة المحدثين قد تلقفوا نظريته واتخذوها طريقا غلى دراسة اللغة وقواعدها بمنظور مبتدع جديد، فثاروا على نظرية العامل ووقفوا يهدمون كل الاسس والمعالم التي بناها النحاة الأقدمون غير أن هذه المحاولة

---

[1] محمد كامل حسن: اللغة العربية المعاصرة، دار المعارف بمصر د.ط.س 1976 ص94.
[2] المرجع نفسه .
[3] محمد كامل حسن : المرجع السابق، ص 19.

ظلت بعيدة من أن تنال من البنيان الذي أقامه أئمة النحو منذ ما يقرب من أربعة عشر قرنا أو تقدم بديلا مقبولا مستمدا من نظريتهم الجديدة [1]

خلاصة :

ثم إن اجتهاد الأوائل من ابن مضاء لم يكونوا على خطأ أو هناك خلط في وضع مقاييس النحو، بل كانت في دقة من التعليل والمنطق "نقول إن الباحث الناقد لو لم يكتف بذلك ينبغي أن يطلع على النصوص الأدبية التي كانت معروفة في صدر الاسلام ويقرأ التاريخ ويلم بسير العلماء الأوائل في الاسلام ويعرف الكثير عن تاريخ نشأة العلوم الاسلامية، ثم يعود بخياله وذاكرته إلى الوراء ليعين فترة من الزمن على ضوء ذلك مع أبي الأسود الدؤلي ويحي بن يعمر .....

ثم يتبادلون الرأي في نواحي المعرفة، وليسمع ما كان يدور في حلقات الدرس [2]

ولكن : "الذي لا شك فيه أن رفض الجديد من منطق الجهل به شيئ لا يقبله العلم ولا تقبله الطبيعة الانسانية، بل لم يقبله النحو العربي في تاريخه الطويل من هنا كانت هذه المحاولة في هذا البحث : أن ننظر في أصول المنهج النحو عند العرب ثم ننظر فيها على ضوء المناهج الحديثة [3]

[1] مجلة الأزهر عدد يونيو 1961، نقلا عن ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ص 170 .
[2] الرد على النحاة : نقلا عن عبده الراجحي : دروس في كتب النحو ص 171 .
[3] عبده الراجحي : النحو العربي والدرس الحديث، س 1979، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ص 6 .

الفصل الثاني

تمهيد :

بلغ النحو العربي بعد الجيل الأول أمثال سيبويه والمبرد والكسائي الدرجة الكبيرة من التعقيد، وتمثل ذلك في مجمل المؤلفات في النحو التي أثقل كاهلها النحاة بأصناف من العلل والمعلول حتى ضاع دارسوا النخو في متاهات كبيرة، فكثرت الشروح وشروح الشروح للكتب المؤلفة .

ومتيجة هذا أحسن العلماء، وبخاصة نحاة الأندلس بضرورة القيام بتسهيل النحو وتحقيقه .

وقد اتبع علماء النحو العربي في المشرق والمغرب والأندلس طرقا عدة من أجل تقديم النحو العربي بقالب جديد يصلح لمواكبة الحياة، وكانت أولاها هي وضع الخطط والمنهاج المسير، وتصنيف الكتب العلمية المختصرة، والتي تسهل على القارئ أو المتعلم بصفة خاصة استيعاب قواعد النحو والوصول إلى غايته وهدفه بصدر من اليسر والسهولة دون الحاجة إلى مرور بتعقيداته [1]

كما عمد نحاة الاندلس –من أجل تبسيط النحو وتسهيله– إلى شرح كتب المشرق، وقد أحدث هذا أثرا كبيرا في تطور النحو العربي بالأندلس، وهذا لأنه لامس أشهر كتب النحو منها متاب سيبويه، كما شرحوا الكتب الأندلسية المعاصرة ولك بشكل أقل من الشروح السابقة [2] ، إلا أن هذه النتائج لم تحقق النتائج المطلوبة والمرغوب بها، فاتبع علماء النحو أسلوبا آخر، إلا أن هذه المرة كأن ثورة عنيفة شنها بعض علماء الأندلس وكانت غايتهم هي التسجيل والتسيير، وتمثل في رفض العلل والعامل باعتبارهما أهم العوامل الباعثة على تعقيد النحو.

ومن أبرز علماء النحو الذين برز وافي هذه الثروة وأطروا النحو ابن مضاء القرطبي الذي أفاد من المذهب الظاهري الداعي إلى الأخذ بظاهر النصوص من القرآن والسنة، وأراد تطبيق ذلك على النحو العربي وأهم ما دعي إليه هو تحطيم نظرية العامل وإلغاء العلل الثواني والثوالث .

تحطيم نظرية العامل :

العامل النحوي أحد أهم الأصول التي بنى عليها النحاة القدماء نحوهم، ويعقد الفضل في تثبيت نظريسة العامل ومد فروعها وإرساء قواعدها إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ثبت صورتها على مر العصور فهو يرى "أنه لابد مع كل رافع لكلمة أو نصب أو خفض أو جزم عامل يعمل في الاسماء والأفعال المعربة ومثلهما الأسماء المبنية" [3]

---

[1] فادي صقر أحمد عصيدة، جهود نجاة الأندلس في تسيير النحو العربي، أطروحة دكتوراه سنة 2006، نابلس فلسطين ص 76 .

[2] المرجع نفسه ص 78 .

[3] شوقي ضيف : المرجع السابق ص 38 .

يرى جمهور العرب أن العامل له دور هام في ضبط الكلمات وفق ما يحس ويدرك من معاني الكلام، مما يساعد المتكلم على التعرف على الحركة العرابية المنلاسبة ويساعد على القراءة الصحيحة، وحفظ النحو من الزلل وبهذا ظل العامل المحور الرئيس الذي تدور حوله أهم قضايا النحو .

وظلت نظرية العامل الذي أرسى النحويون القدماء قواعدها قائمة بمثابة دستور للنحاة "–قدماء كانوا أم محدثين– رغم ظهور فئة رافضة وداعية إلى إلغاء هذه النظرية [1] وهم من نادى بإلغاء العامل هو ابن مضاء القرطبي .

يرى ابن مضاء القرطبي أن النحاة القدامى حملوا النحو العربي أشياء هم في غنى عنها وألزموه ما لاحاجة له به، وقد سدد ابن مضاء سهام دعوته إلى نظرية العامل التي أحالت كثيرا من جوانب النحو العربي إلى عدة صعبة الحل وعسيرة الفهم يقول :"قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النخو عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه"[2]

ومن ذلك : إدعائهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي أو معنوي، وأن الرفع منها ما يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا "صرب زيد عمرا" أن الرفع في "زيد" والنصب الذي في عمر إنما أحدثه "ضرب".

ألا ترى أن سيبويه –رحمه الله– قال في صدور كتابه : "إنما ذكرت ثمانية مجاز لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل وليس لشيئ منها إلا وهو يزول عنها ويبين ما نبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيئ أحدث ذلك فيه [3] .

أشار ابن مضاء في كتابه –الرد على النحاة – إلى أن هناك من سبق في فكرة العامل منهم إبن جني الذي أرجع العمل في النصب والرفع والخفض إلى المتكلم، إلا أن ابن مضاء على العكس من ذلك فهو يلغي ويصر على إنكاره للعامل ويبين من خلال ذلك فهو يلغي ويصر على إنكاره للعامل ويبين من خلال ذلك فساد رأي النحاة في العامل يقول :"أما القول بالألفاظ فيحدث بعضها بعضا فياصلا عقلا وشرعا ولايقول به أحد من العقلاء لمعان يطول ذكرها فيما المقصد إيجازه : منها أن شرط الفاعل أن يكون موجودا حينما يفعل فعله، ولا يحث الإعراب فيما يحدث بعد عدم العامل فلا ينصب "زيد" بعد "إن" في قولنا "إن زيدا" إلا بعدم إن" [4]

[1] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي ص 108، 109 .
[2] الرد على النحاة ص 76 .
[3] المصدر نفسه ص 76، 77 .
[4] الرد على النحاة ص 77، 78 .

يزعم ابن مضاء أن العامل لا يفعل شيئا لأن ذلك باطل وكل من يتصور ذلك فهو واهم والأوهام والأفعال كلها من وضع الله ولا يمكن رد الرفع أو النصب أو الخفض إلى العامل كما زعم النحاة القدماء .

ففكرة العامل توجهنا إلى التفكير في المحذوفات والمضمرات ولم يقصد إليها العرب حين نطقوا بكلامهم موجزا، ولو أن النحاة فكروا لنطقوا بها وخرج بذلك كلامهم من باب الإيجاز إلى باب الإطناب [1]

- اعتراض ابن مضاء على تقدير العوامل المحذوفة :

اعترض ابن مضاء على تقدير العوامل المحذوفة إلى ثلاث "محذوف لا يتم الكلام إلا به، حذف لعلم المخاطب كقولك لمن رأيته يعطي الناس : زيدا أي أعط زيدا فتحذفه وهو مراد وإن أظهرتم الكلام .... والثاني محذوف ولا حاجة بالقول به بل هو تام دونه، وإن ظهر كان عيبا كقولك "أزيد ضربته" قالوا إنه مفعول بفعل مضمر كقديره "أضربت زيدا" ... وأما القسم الثالث فهو مضمر، وإذا أظهر تغيير الكلام عما كان عليه قبل لإظهاره كقولنا "يا عبد الله" وحكم سائر المناديات المضافة والنكرات حكم "عبد الله"، وعبد الله عندهممنصوب لفعل مضمر تقديره أدعوا ....[2] إذ برهن على فسادها الذي تمثل في تعقيد النحو وجعله صعبا على الطالب والباحث في النحو العربي .

إن تصنيف النحاة الضمائر إلى بارة ومقدرة ومستترة أمر اعتبره ابن مضاء غير جائر واتهم النحاة بالتزيد في القرآن الكريم من غير حجة ولا دليل، "ومن بنى زيادة في القرآن بغير علم توجه الوعيد إليه، ومما يدل على أنه حرام، الاجماع على أنه لا يزايد في القرآن لفظ غير المجمع على إثباته، وزيادة المعنى كزيادة اللفظ بل هي أحرى لأن المعاني هي المقصودة والألفاظ دلالات عليها ومن أجلها"[3]

- الاعتراض على تقديره الضمائر المستترة في المشتقات :

ينتقل ابن مضاء العوامل المحذوفة إلى الضمائر المستترة في المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة في مثل "ضارب" ومضروب، إذ يرى أنه ليس هناك أي داع لأن نبحث عن الضمائر المستترة فما دام اسم الفاعل عند النحاة في مثل ضارب تدل على الصفة وصاحبها وتحمل معنى الفعل والفاعل .[4]

---

[1] المصدر نفسه ص 24
[2] الردعلى النحاة ص 78، 79، 80 .
[3] المصدر نفسه ص 82.
[4] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو ص 130.

فمثلا (زيد ضارب عمرا)، ضارب تدل على الفاعل غير مصرح باسمه فضارب موضوع بمعنيين، الأول دال على الضرب والثاني يدل على فاعل الضرب غير مصرح باسمه وزيد يدل على اسمه ضارب يدل على الفاعل غير مصرح باسمه وزيد يدل على اسنه فما الداعي إلى تقدير زائد [1]

- اعتراض ابن مضاء على تقدير الضمائر المستترة في الأفعال :

اعتراض ابن مضاء على فكرة استتار الفاعل مع الأفعال في قولنا (زيد قام) فحسب رأي ابن مضاء لا داعي لهذا الاستتار، فالفعل يدل على الفاعل دلالة لفظية ونحن نعلم أن الفاعل من صيغة ولفظه، فيعلم فاعله غائبا مذكرا وأعلم فاعله أنا [2] فما الداعي إذا إلى التقدير والتأويل إذا كان الفاعل معلوما ؟ الذي لم يزد النحو إلا تعقيدا .

- اعتراض ابن مضاء على تقدير متعلقات المجرورات :

إعترض ابن مضاء على تقدير متعلقات المجرورات وحاول أن يبرهن على فساد ما يزعمه النحاة القدماء أن المجرورات تقع أخبارا، أو صلات أو صفات أو أحوالا في مثل (زيد في الدار)[3]

فابن مضاء يرى أن هذا التقدير لا فائدة منه فالكلام تام دون هذه الزيادة .

- نظرية العامل في باب الاشتغال وحاول تغيير أحكامه ووجوه إعرابه، وثار على تقسيم النحاة لهذا الباب فالاشتغال من الأبواب التي يظن أنها تعسر على من أراد تفهيمها أود تفهمها لأنها موضع عامل ومعمول وداعية لي إلى إنكار العامل والمعمول، باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره مثل قولنا (زيد ضربته)[4]

وفي باب الاشتغال يعرض ابن مضاء طرفا من صور الإضطراب بين النحاة في مثل قولهم (أزيد لم يضربه إلا هو، أخواك ظناهما منطلقين، أأنت عبد الله ضربته)، ابن مضاء يحمل على هذه الصور وأمثالها التي لم تأت في العربية وجاءت في كتب النحو وحمل دراسة النحاة للباب وتقسيمهم لصوره بين ما يجب رفعه وما يجب نصبه وما يترجح فيه الرفع أو النصب وما يدور فيه الأمران .[5]

[1] الرد على النحاة ص 82 .
[2] الرد على النحاة ص 92 .
[3] المصدر نفسه ص 28، 29 .
[4] المصدر نفسه ص 103 .
[5] الرد على النحاة ص 33 .

وابن مضاء يرفض كل هذا لأنه يرى أن النظرية لا تجز أية فائدة تذكر . كما لم يغض ابن مضاء الطرف عن تقدير القدماء المضارع منصوب "بأن" محذوفة بعد فاء السببية و"واو المعية" ويبرز من خلال ذلك مدى تعسف نظرية العامل في التقدير والتأويل .

نظرية العامل في باب التنازع :

تعرض ابن مضاء إلى التنازع في العمل في محاولة منه تطبيق نظريته والتي تمثلت في إلغاء نظرية العامل من رفض لبعض الأساليب العربية إلا أن "من يقرأ الفصل الذي خصصه ابن مضاء لا يحدد فيه ما يشير إلى رفض نظرية العامل وعلى الرغم من ادعائه في مقدمة " الرد على النحاة" بأن نظرية العامل نظرية فاسدة وأن غايته من تأليف هذا الكتاب هو نفض الأسسس التي قامت عليها هذه النظرية، فقد تخلى ابن مضاء عن ثورته في الباب وتحول إلى نحوي مشرقي بصري المذهب فهو يصرح بوضوح أنه لا يعارض النحويين في هذا الباب [1]

وعلق قائلا : "فمن هذه الأبواب : باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل ما يفعل به الآخر وما كان نحو ذلك هذه ترجمة سيبويه رحمه الله، وأنا لا أخالف النحويين في هذا الباب إلا أن أقول : علقت ولا أقول أعلمت والتعليق يستعمله النحويون في المجرورات والفاعلين والمفعولين تقول : (قام وقعد زيد) فإن علقت زيدا بالفعل الثاني فبين النحويين في ذلك اختلاف "[2]

إن اعتراف ابن مضاء بالتعليق في التنازع اعترافا منه بالعامل فوقع في تناقض وارتداد على الخط الذي رسمه في أول كتابه إذ حين يعلق أحد الفعلين على فاعل إعترافا منه بأعمال الفعل واعترافه بالعامل دليل على تبنيه مذهب البصريين في هذا الباب ويحتج لهم بأعمال الفعل الثاني من قوله وبين النحويين اختلاف في أي الفعلين أولى أن يتعلق به الاسم فاختار البصريون الثاني للجوار وأختار الكوفيون الأول السبق [3] لم تكن نظرية العامل إلا واحدة من أصول النحو التي وضعها النحاة ولقيت رفضا من طرف هذا النحوي – ابن مضاء – الثائر على نحو المشارقة .

[1] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو ص 154 .
[2] الرد على النحاة ص 94 .
[3] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو ص 152 – 153 .

نظرة ابن مضاء في القياس النحوي :

اعتمد النحاة القدماء القياس منذ القديم في اللغة العربية، وقبل أن يضع أبو الأسود الدؤلي مبادئ النحو[1]

إلا أننا نجد ابن مضاء في كتابه "الرد على نحاة" يرفضه وبين مدى فساده، فالمدارس النحوية القديمة اختلفت في أقيستها بسبب اختلاف اغلمناهج التي تتبعها كل مدرسة، أما ابن مضاء فيرفضه وينكره لأنه لا توجد نصوص تدعمه و" العرب أمة حكيمة فكيف تشبه شيئا بشيئ وتحكم عليه بحكمه وعلة حكم الأصل غير موجودة في الفرع وإذا فعل ذلك واحد من النحويين ذلك جهل، ولم يقبل قوله، فلم ينسبوا إلى العرب ما يجهل به بعضهم بعضا وذلك أنهم لا يقيسون الشيئ على الشيئ ويحكمون عليه بحكمه إلا إذا كانت علة حكم موجودة في الفرع"[2]

لم يتوسع ابن مضاء كثيرا في باب القياس كما تطرق إلى العامل إلا ما تناوله في عدة مواضع [3] فذكر في باب التنازع

"فإن قيل : النحويون لم يذكروا في هذا الباب إلا الفاعل والمفعول والمجرور وهنا معمولات كثيرة على مذهبهم كالمصادر والظروف والأحوال والمفعولات من أجلها والمفعولات معها والتمييزات فهل تقاس هذه المفعولات أو لاتقاس إلى قوله وإلا ظهر ألا يقاس شيئ من هذا المسموع إلا أن يسمع في هذه كما سمع "[4]

ومن بين ما اعترض عليه ابن مضاء ما ذهب إليه النحاة "الأسماء غير المنصرفة تشبه الأفعال في أنها فروع كما أن الأفعال فروع ما بعد الأسماء فإذا كان في الاسم علتان أو واحدة تقوم مقام علتين" [5]

فهو يرى أن هناك أسماء شبيهة بالأفعال ومن هذه الأسماء التي لا تنصرف وهي منصرفة نحو (أقام، إقامة) فإقامة مؤنثة والفعل مشتق منه ودال على ما يدل عليه من الحدث [6]

إذا كان ابن مضاء يجد أسماء شابهت الأفعال ولم تمنع من الصرف فالنحاة القدماء يعدونها "أفعالا ضارعت الأسماء فأعطيت الإعراب" [7]

إن الظاهريين ينكرون القياس ويرفضونه إلا أن ابن مضاء ورغم انتمائه إلى المذهب الظاهري فهو لم يرفض القياس كله بل قبله بشروط فهو يشترط ألا يقيسوا الشيئ ويحكموا عليه بحكمه إلا إذا كان حكم الأصل موجودا في الفرع

---

[1] المرجع نفسه ص 100 .
[2] الردعلى النحاة ص 134، 135 .
[3] ابن مضاء وموقفه من أصول النحو ص 144 .
[4] المرجع السابق ص 145 .
[5] الرد على النحاة ص 135.
[6] الرد على النحاة ص 136 .
[7] ما ينصرف وما لا ينصرف نقلا عن ابن مضاء وموقفه من أصول النحو 107 .

إلغاء العلل الثواني والثوالث :

هي دعوة أخرى من اجل تخليص النحو العـربي من الشوائب التي علقت به وعقدته وجعلته عسير الفهم .

يدعوا ابن مضاء في هذا المقام إلى الأخذ بالعلة الأولى فقط أما غيرها –العلل الثواني والثوالث" فالاخذ بها باطل لا يفيدنا في شيئ، لا تفيد معرفته ولا يضر جهله ولذلك نادى بإسقاط العلل الثواني والثوالث " وذلك مثل سؤال السائل عن "زيد" من قولنا "قام زيد" لم رفع ؟

فيقال إنه فاعل وكل فاعل مرفوع، ولم رفع الفاعل ؟

فالصواب أن يقال له : كذا نطقت به العرب [1] يقر بالعلة الأولى لرفع الفاعل ويرفض تعليل الفاعل ويحيل هذا الرفع إلى كلام العرب ولأنه لا يرى أي داع إلى معرفة تلك الدواعي أو تلك العلة، خلف رفع الفاعل أو نصب المفعول، وهنا نلاحظ أن ابن مضاء قد خالف الظاهريين في نظرتهم إلى العلة فهم يرفضون العلة رفضا باتا، في حين ابن مضاء اكتفى برفض العلل الثواني والثوالث .

- الدعوة إلى إلغاء التمارين غير العلمية :

لم يكتف ابن مضاء بإلغاء العلل وإنكار القياس والعلل الثواني والثوالث بل ها هو يدعو إلى إلغاء التمارين غير العلمية ومن مثلها قول النحاة :

ابن من كذا، مثال كذا) وكقولهم (ابن من البيع) مثال (فعل) فيقول قائل (بوع) أصله (بيع) فيبدل من الياء واوا لانضمام ما قبلها لأن النطق بها ثقيل" [2]

فأوضح فساد حجج النحويين، إذ يرى أن الناس عاجزون عن حفظ اللغة الفصيحة فكيف بهذا المظنون المستغنى عنه"[3]

- الدعوة إلى إلغاء مالا يفيد نطقا فهو يرى أن ما يجب أن يسقط من النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقا كاختلافهم في علة رفع الفاعل، ونصب المفعول وسائر ما اختلفوا فيه [4]

[1] الرد على النحاة ص 103.
[2] المصدر نفسه ص 1038.
[3] المصدر نفسه ص 140 .
[4] المصدر نفسه ص 141 .

الفصل الثالث

تمهيد :

ليس غريبا أن يكون التطلع إلى الفلسفة الكلامية في مرحلة من مراحل شيوعها في وسط الفكر العربي وأن تعمم مبادؤها واتجهاتها على مختلف العلوم التي كانت تغزو العقول وتحتل المراتب السامية في الأوساط الاجتماعية والثقافية كعلوم الشريعة والفقه واللغة وعلوم النحو، هذا الاخير اهتم به العالم النحوي ابن مضاء باعتباره اساسا تستقيم به اللغة وعلى أساسه يفهم كتاب الله وسنة رسوله .

وقد كان للمذهب الظاهري الأثر البالغ في ترجمة توجهات ابن مضاء النحوية بإسقاطه الاسس القاعدية للنحو البصري والكوفي فقد كان كتاب "الرد على النحاة أهم ما ألف في النحو إذ "يهدم فيه الأصول التي قام عليها النحو العربي في المشرق، وليس عجيبا لدى المتتبعين للفكر الاسلامي أن يتصدى ابن مضاء لنقد النحو العربي فالحق أنه لم يكن يقصد هدم النحو لذاته، وإنما كان يهدف إلى هدمه بإعتباره وسيلة لفهم الفقه المشرقي الذي اشترك هو في الثورة عليه" [1]

أثر دعوة ابن مضاء على النحاة القدماء :

[1] البير مطلق : الحركة اللغوية بالأندلس من الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، س 1965، أطروحة دكتوراه، ص 204 .

وقد أفرزت دراسات ابن مضاء القرطبي وجهات نظر لغوية وأخرى فلسفية وفقهية بقيت مطروحة عبر الزمان وفي مختلف الأمكنة العربية، وبخاصة إثر تطبيقه المذهب الفقهي على العلوم اللغوية، تختلف وما جاء به شيوخ النحو الأوائل –الخليل وسيبويه– الكسائي والفراء وغيرهم من أفذاذ اللغة.

وتواصلت الاجتهادات في بحثها تتابع الأجيال والمراحل والعصور، تهدف من ذلك غلى تيسير النحو العربي وتخليصه من شوائب علقت به على مر العصور .

ابن رشد :

تقبل ابن رشد هذه النظرية وكان له رأي في النحو، وكتابه "الضروري في علم النحو" الذي ألفه وجعل غرضه أن يذكر من علم النحو ما هو ضروري لمن أراد أن يتكلم عادة العرب في كلامهم ويتحرى في ذلك ما هو أقرب الامر الصناعي، واسهل تعليما وأشد تحصيلا للمعاني" [1]

وقد التقى ابن رشد في كتابه الداعي إلى "تيسير النحو" مع ابن مضاء القرطبي في كتابه"الرد على النحاة" فالكتابان تجمع بينهما الغاية وهي تيسير النحو العربي، ولكن يفترقان في الطريقة والمرجعية، فابن مضاء يتحرك داخل بنية النحو العربي، كما كانت منذ سيبويه، مع اسقاط كل ما لا يفيد نطقا الشيئ الذي يربطه بظاهرية ابن حزم، أما ابن رشد فيريد أن يعيد بناء النحو العربي وفق الترتيب الذي هو مشترك لجميع الألسنة [2]

عوامل ومظاهر التجديد في النحو عند المحدثين :

تأثر النحاة الأندلسيون والعرب بالنظرية التي أقيمت من طرف ابن مضاء –وهو قمة في اللغة والنحو والفقه – وتبعته كوكبة من النحاة كان غرضها دراسة النحو بأيسر الطرق وأسهلها حتى تسهل على الباحث الأخذ بها وبقواعدها وأسسها، فابن رشد عمل بفلسفته على تطوير الدراسة النحوية متبعا في ذلك القرطبي رغم الاختلاف في الدراسة، وكان له الاثر في ذلك كتابة المعنون"تيسير النحو" وقد لقيت هذه البحوث والدراسات الأولى الترحيب الواسع من طرف النحاة واللغويين المحدثين، فكتبوا وألفوا، وعللوا وبرهنوا على كل تساؤل حتى يفهم النحو –كما سبق الذكر به– وتستوعب اللغة في أيسر قوالبها ، كتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء القرطبي لقي الصدى الواسع عند المحدثين.

شوقي ضيف :

[1] فادي عصيدة : جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، سنة 2006، ص 14 .
[2] الجابري محمد عابد : التجديد في النحو ابن مضاء وابن رشد، نقلا عن فادي أحمد عصيدة : المرجع السابق ص 26.

يقول شوقي ضيف "من خمسة وثلاثين عاما عثرت في فهرس المكتبة التيمورية بدار الكتب المصدرية على كتاب بعنوان "الر د على النحاة" لابن مضاء القرطبي، فطلبته للإطلاع عليه، وإذا هو مخطوطة مليئة بالتصحيف والتحريف، غير أن طرافة موضوعها أعزتي بتحقيقها ونشرها"[1]

كما انه عكف على إصلاحها وتصحيحها "مستعينا بأصول علم النحو وأمهاته المطبوعة والمخطوطة مما أشار إليه ابن مضاء في كتابه وما لم يشر إليه"[2]

وقد قدم الدكتور شوقي ضيف في "تجديد النحو " مشروعا لتيسير النحو ومؤتمر "حري بي أن أذكر أني قدمت إلى مؤتمر مجمع اللغة سنة 1977م مشروعا لتيسير النجو على ضوء ما رسمته في مدخل الكتاب من تصنيف جديد النحو"[3]

وأيضا كان باعثا لتأليف كتاب بعنوان "تجديد النحو" ويقول "وقد رأيت ابن مضاء يهاجم نظرية العامل في النحو وكل ما اتصل بها من كثرة التقدير للعوامل المحذوفة وكثرة العلل و الأقييسة مما أحاله إلى ما يشبه شباكا معقدة، وكلما تخلص دارسه من إحدى شباكه تعثر في أخرى، فضلا عن شباك التمارين الافتراضية وربما كانت حلقات نسجها أكثر ضيقا وأكثر هذه الشباك لا تدعو إليه حاجة لسانية في تصحيح النطق بالكلام .[4]

وقد وضع شوقي ضيف لكتاب "الرد على النحاة" مدخلا طويلا اقترح فيه تصنيفا جديدا للنحو أسسه على ثلاثة أسس.

وكان أساسه الأول تنسيق أبواب النحو على جوانب من آراء ابن مضاء أما الاساس الثاني استضاءت فيه بجوانب من آراء ابن مضاء في كتابه وبمقترحات نخبة وزارة المعارف السالفة الذكر وقرارات مؤتمر المجمع اللغوي .... والاساس الثالث أن لا تعرب كلمة لا يفيد إعرابها أي فائدة في صحة نطقها [5]

ثم أضاف شوقي ضيف أساسين ، اما الاساس الرابع هو وضع تعريفات وضوابط دقيقة لأبواب المفعول المطلق والمفعول معه والحال تجمع صورالتغيير في كمل منها جمعا وافيا .

أما الاساس الخامس فحذف زوائد كثيرة في أبواب النحو تعرض فيه دون الحاجة.[6]

---

[1] الرد على النحاة ص3.
[2] المصدر نفسه ص 3.
[3] الرد على النحاة ص 6.
[4] تجديد النحو : شوقي ضيف، دار المعارف، ط5، ص 3.
[5] المرجع السابق ص 4 .
[6] شوقي ضيف : المرجع نفسه ص 5.

- كما استفاد "محمد كامل حسن" وأفاد في كتابه "اللغة العربية المعاصرة" وكان صدى لتجديد النحو ودعى أيضا إلى إلى تسير النحو وتبسيط نظام اللغة لمل تخضع له من قواعد تجعلها معقدة "فاللغة ظاهرة طبيعية ونظامها على ذلك يجب أن يكون بسيطا غير معقد وكثرة القواعد التفصيلية تدل على ان واضع النظام لم يتبين الاصول الكبرى لصحة الكلام والقواعد المعقدة تدل بتعقيدها على أنها غير طبيعية وعلى انها لم تكن في يوم من الأيام رائد المتحدثين باللغة والاصل في القواعد الطبيعية الخصبة أن تكون شاملة مرنة .[1]
- وقد وضع حلا وسطا لاستعاب اللغة يقول "واعود واقول لا أدعو الى تغيير في مقاييس الصحة في العربية الفصحى وإنما أقول إننا نستطيع وضع قواعد بسيطة جدا يمكن أن يلم بها المتعلمون في وقت قصير فيتجنبوا اللحن في أكثر كلامهم [2] واعطى تعليلا فيما سبق يخص الإعراب "وذهب إلى المعنى هو الذي يحدد الإعراب، والعرب كغيرهم من الأمم تكلموا لغتهم معربة قبل أن يعرفوا قواعد الإعراب، ولا نزاع أن رائدهم في صحة الاعراب لم يكن إلا معاني العبارات وضرورة التفريق بين التراكيب المتشابهة، وكل ماعدا ذلك من القواعد دخيل على اللغة العربية [3]
- وقد حلت آراء بن مضاء تحليلا مفصلا ووضحت دعوته الى إلغاء نظرية العامل في النحو وما يتصل بها من العوامل المحذوفة عبر العصور ، وبخاصة عند المحدثين أمثال شوقي ضيف، ابراهيم مصطفى في "أحياء النحو" ومحمد كامل حسن في "اللغة العربية المعاصرة".
- واتخذه غير طالب في الجامعات العربية موضوع الرسالات الاكاديمية، كفادي عصيدة في أطروحته "جهود نحاة الاندلس في تيسير النحو العربي" وخص بالذكر ابن مضاء، وتأثر النحو بالمذاهب الفقهية، وخص له صفحة يتحدث فيها عنه وعن نزعته وعن تجاوزه للغة النحوية ليدعو إلى ترك العوامل .
- كما قدم الدكتور علي عبد المكارم أطروحته تحت عنوان "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي" وقد كانت شاملة لما احتواه درس النحو العربي .
- اذا كان النحاة القدماء لم يلتفتوا فيما يعدو صيحة ابن مضاء الداعية إلى هدم اركان النحو وصياغته في منهج جديد، فإن النحاة المحدثين قد تلقفوا نظريته واتخذوها طريقا غلى دراسة اللغة وقواعدها بمنظور مبتدع جديد، فثاروا على نظرية العامل ووقفوا يهدمون كل الاسس والمعالم التي بناها النحاة الأقدمون غير أن هذه المحاولة

[1] محمد كامل حسن: اللغة العربية المعاصرة، دار المعارف بمصر د.ط.س 1976 ص94.
[2] المرجع نفسه .
[3] محمد كامل حسن : المرجع السابق، ص 19.

ظلت بعيدة من أن تنال من البنيان الذي أقامه أئمة النحو منذ ما يقرب من أربعة عشر قرنا أو تقدم بديلا مقبولا مستمدا من نظريتهم الجديدة [1]

خلاصة :

ثم إن اجتهاد الأوائل من ابن مضاء لم يكونوا على خطأ أو هناك خلط في وضع مقاييس النحو، بل كانت في دقة من التعليل والمنطق "نقول إن الباحث الناقد لو لم يكتف بذلك ينبغي أن يطلع على النصوص الأدبية التي كانت معروفة في صدر الاسلام ويقرأ التاريخ ويلم بسير العلماء الأوائل في الاسلام ويعرف الكثير عن تاريخ نشأة العلوم الاسلامية، ثم يعود بخياله وذاكرته إلى الوراء ليعين فترة من الزمن على ضوء ذلك مع أبي الأسود الدؤلي ويحي بن يعمر .....

ثم يتبادلون الرأي في نواحي المعرفة، وليسمع ما كان يدور في حلقات الدرس [2]

ولكن : "الذي لا شك فيه أن رفض الجديد من منطق الجهل به شيئ لا يقبله العلم ولا تقبله الطبيعة الانسانية، بل لم يقبله النحو العربي في تاريخه الطويل من هنا كانت هذه المحاولة في هذا البحث : أن ننظر في أصول المنهج النحو عند العرب ثم ننظر فيها على ضوء المناهج الحديثة [3]

[1] مجلة الأزهر عدد يونيو 1961، نقلا عن ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ص 170 .
[2] الرد على النحاة : نقلا عن عبده الراجحي : دروس في كتب النحو ص 171 .
[3] عبده الراجحي : النحو العربي والدرس الحديث، س 1979، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ص 6 .

خاتمة

الخاتمة :

إن ماقدمه ابن مضاء من أجل النحو أمر كبير فبعد وصول النحو إلى قمة التعقيد والتعسير، لم يكن في وسع ابن مضاء إلا أن يجتهد ليخرج الباحث أو الطالب من متاهات أحدثتها كثرة الشروح وشروح الشروح، وكان ابن مضاء يرى أن النحاة المشارقة حملوا النحو أمورا هو في غنى عنها .

فعمل على إلغاء كل ما هو غير ضروري وأهم ما قام به هو إلغاء نظرية العامل والعلل وتجاوز ذلك إلى إسقاط من القياس والتمارين الافتراضية وكل ما لا يفيد نطقا .

كانت ثورة ابن مضاء نتيجة تأثره بالمذهب الظاهري التأثر على المذاهب الفقهية، إلا أنه من خلال الدراسة يتبين أنه خالف الظاهريين في بعض المواضع .

ففي باب القياس نجده يخالف الظاهريين الذين يرفضون القياس، إذ لم يعترض على القياس كله بل قبل القياس الذي توفرت فيه علة حكم الأصل موجودة في الفرع .

وفي باب العلة : نجد الظاهرين يرفضون العلة رفضا باتا، أما ابن مضاء فاقتصر رفضه على العلل الثواني والثوالث.

وفي مواضع أخرى نجد ابن مضاء يصرح بأنه يعلق على النحو المشرقي فقط ولم يغير فيه .

وبهذا يكون ابن مضاء قد اختار لنفسه منهجا خاصا به في الدراسة وذلك رغم تأثره بالظاهريين .

إن ما قام به ابن مضاء في غاية القمة، وكان لنحوه تأثيره البليغ في بعض الباحثين —قدماء كانوا أم محدثين– وكان التجديد الذي أتى به محط دراسات وبحوث وهذا لأهمية ما قدمه النحو العربي .

المراجع

قائمة المراجع:

1- ابراهيم أنيس: أسرار اللغة، مكتبة أنجلو مصرية، الطبعة الثامنة.

2- ألبير مطلق:الحركة اللغوية بالأندلس من الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف،أطروحة دكتوراه، 1965.

3- ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية 1952.

4- شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، الطبعة السابعة القاهرة.

5- شوقي ضيف: تجديد النحو، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة.

6- عبد الراجحي: دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1975.

7- عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1979، بيروت.

8- عبد علي حسين: أصول إعراب اللغة العربية، دار دجلة الأردن 2008.

9- علي عبد الكريم: ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي.

10- فادي صقر أحمد عصيدة: جهود نحاة الأندلس في تسيير النحو العربي أطروحة دكتوراه، سنة 2006 نابلس فلسطين.

11- فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة الطبعة الأولى 2008.

12- محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر.

13- الشيخ محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة.

14- محمد كامل حسن: اللغة العربية المعاصرة، دار المعارف بمصر، 1976 القاهرة.

15- إ بن مضاء: الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.

16- نادية رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء شوقي ضيف: كتاب الرد على لإبن مضاء القرطبي، دار المعارف القاهرة.

الفهرس

المدخل : حركة التجديد في النحو قبل ابن مضاء

- تمهيد

مفهوم النحو.....2

أهمية النحو.....2

نشأة النحو.....3

أصول النحو العربي.....5

-أولا : السماع.....5

-ثانيا : القياس.....5

-ثالثا : العامل.....6

-رابعا : العلة.....6

حركية النحو العربي من المدرسة البصرية الى الاندلسية 8

-أولا : المدرسة البصرية 8

-ثانيا : مدرسة الكوفة 8

-ثالثا : مدرسة بغداد 9

-رابعا : المدرسة الاندلسية.....10

الفصل الاول : ثقافة ابن مضاء وأثرها في الدعوة للتجديد في النحو .

تعريف ابن مضاء.....11

- شيوخه.....11
- ثقافته.....12

العوامل المؤثرة في النحو عند ابن مضاء.....13

- أثر الموحدين في ثقافة ابن مضاء.....13
- المذاهب الفقهية وتأثيرها في النحو 16
- ابن مضاء والمذهب الظاهري 16
- الظاهرية وأثرها في الحركة اللغوية.....18

الفصل الثاني : تجليات التجديد في النحو عند ابن مضاء

- تمهيد.....19

تحطيم نظرية العامل.....20

- اعتراض ابن مضاء على تقدير العوامل المحذوفة.....21
- اعتراضه على تقدير الضمائر المستترة في المشتقات.....22
- اعتراضه على تقدير الضمائر المستترة في الافعال.....22
- اعتراضه على تقدير متعلقات المجرورات.....22
- نظرية العامل في باب الاشتغال.....22
- نظرية العامل في باب التنازع.....23

نظرة ابن مضاء في القياس النحوي 24

إلغاء العلل الثواني

والثوالث.....25

الدعوة الى الغاء التمارين غير العلمية 25

الدعوة الى الغاء ما لا يفيد نطقا 26

الفصل الثالث : أثر الدعوة للتجديد في النحو عند ابن مضاء

- تمهيد.....27

أثر دعوة ابن مضاء على النحاة القدماء.....28

- ابن رشد.....28

عوامل ومظاهر التجديد في النحو عند المحدثين.....28

- شوقي ضيف 29
- محمد كامل حسن.....30
- خلاصة 31

قائمة المصادر والمراجع